إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية :الدراسات المصرية نموذجا ، المجلة العلمية لكلية الآداب ، جامعة المنيا ، أبريل 2004 (بحث منفرد).

إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية الدراسات المصرية نموذجا

د. محمد شومان

مقـــدمـــة :

ارتبطت نشأة وتطور بحوث ودراسات الإعلام في العشرينات من القرن الماضي بالنموذجين الوضعي والسلوكي positivist and behaviourist paradigm، فقد استمد التخصص الجديد الكثير من منطلقاته ومفاهيمه وأطره النظرية والمنهجية من هذين النموذجين ، في هذا الإطار ركزت بحوث الإعلام - وما تزال - علي تأثير وسائل الإعلام في الجمهور اعتماداً علي ما يعرف بدراسات الجمهور ، وأهملت إلى حد كبير دراسة مضمون وشكل الرسالة الإعلامية التي يفترض أنها تحدث التأثير المطلوب أو المرغوب من وجهة نظر المرسل أو القائم بالاتصال سواءً كان شخصاً أو مؤسسة إعلامية .

وحتى عندما التفت الباحثون لأهمية دراسة شكل ومضمون الرسالة الإعلامية لم تعرف الدراسات الإعلامية سوي التحليل الكمي لمضمون أو محتوى الرسالة الإعلامية ، والذي ذاع صيته بفضل مقال بريلسون Berelson الشهير ، والذي نشره عام 1952 بعنوان التحليل الكمي للمحتوي في أبحاث الاتصال . واستناداً إلى مساهمات بريلسون وآخرون سادت تقاليد التحليل الكمي الدراسات الإعلامية ، وأصبحت جزءًا من التقاليد البحثية في حقل الدراسات الإعلامية ، بينما اختفت أو غيبت الدراسات الكيفية واتهمت بالتحيز والبعد عن الموضوعية ، ويرصد تومبكنس استمرار هذه الظاهرة في أقسام وكليات الإعلام الأمريكية والمجلات العلمية حيث قام بتحليل ملخصات البحوث المنشورة في المجلات الإعلامية الأمريكية في الفترة من 1988-1994 ووجد ستة بحوث فقط استخدمت مناهج بحوث كيفية ،وفسر تومبكنس ذلك في ضوء عاملين هما الاعتقاد السائد بين الباحثين بأن المجلات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلمية لا تنشر البحوث الكيفية ، بالإضافة إلى نقص التدريب علي تحليل المضمون الكيفي **(Tompkins, 1994 , PP 44-50)**

لكن يمكن إضافة عامل ثالث لتحليل تومبكنس يتمثل في قلة الاهتمام بدراسة مضامين الرسائل الإعلامية والذي ارتبط بنشأة تخصص الإعلام في إطار الوضعية والسلوكية ، من هنا يذكر لنجر عام 1998 أن الرسائل في النصوص الإعلامية لم تحظ فعليا بالاهتمام الأول في مجال بحوث الإعلام خلال الخمس عشرة إلى العشرين سنة الأخيرة ، وظهرت كثير من البحوث في التسعينات تركز علي عمليات إنتاج واستقبال الأفراد أو المجموعات للرسائل الإعلامية ، وذلك رغم أن الأفراد المتلقين يفسرون النصوص الإعلامية وفقاً لحياتهم الشخصية وخبراتهم وتجاربهم الذاتية إلا أن للنص ذاته تأثير حاسم علي تفسيراتهم **(Langer,1998) .**

علي أن سيادة وهيمنة مناهج وأدوات التحليل الكمي لم تمنع من ظهور كثير من الانتقادات التى انصبت علي شكلية وعدم موضوعية فئات تحليل المضمون الكمي التي تدعي بدون أساس علمي الدقة والموضوعية ،و تنزع إلى تفتيت النص ،وتحويله إلى مجرد أرقام وبيانات إحصائية لا تكشف عن معني النص أو المعاني التي يحملها ، إن التحليل الكمي عكس التحليل الكيفي يهمل سياق النص وعلاقات القوي داخله ،ومنظور الفاعل ، فضلاً عن عدم الاكتراث بالمعاني الضمنية أو غير الظاهرة في النص **(عبد الرحمن وآخرون , 1983)** من هنا بدأت تظهر- وعلي استحياء- محاولات لاستخدام مناهج وأدوات للتحليل الكيفي في دراسة النصوص الإعلامية، وقد اتسمت في البداية بالتردد والخلط وعدم الوضوح أو التكامل المنهجي والإجرائي ، لكنها شكلت نوعًا من المواجهة والتحدي للتقاليد السائدة في مجال الدراسات الإعلامية **(Curtin, 1996) .**

وفي مطلع السبعينيات من القرن الماضي اتجه عدد من الباحثين الاسكندنافيين في مجال الإعلام إلى تأييد واستخدام التحليل الكيفي للمحتوي من منظور أيديولوجي ،وعرف هذا التوجه بالاتجاه الإنساني humanistic trend والذي ركز علي علاقات القوة التي تحاول النصوص الإعلامية التعبير عنها ، كما سعي لتطوير أدوات التحليل الكيفي مستفيدًا من التطور الذي تحقق في مجال الدراسات اللغوية والسميولوجية(العلاماتية)، وتحليل النص ، وكان من أبرز ممثلي هذا الاتجاه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الباحث الدانماركى بيتر لارسن Beter Larsen ، والذي أكد أن التحليل الكيفي ليس غاية في حد ذاته ، ووفقا لمايرينج Mayring فإن التحليل الكيفي للمحتوي يقوم علي الفحص الدقيق لمصادر المادة المزمع تحليلها ، وعلى الملاحظة الصريحة والفهم الذاتي للذين يقومون بالتحليل ، مع الاهتمام أيضا بوجهات نظر الآخرين ، بالاضافة الي تقبل نتائج إعادة التفسير ،وتعتبر المصطلحات السميولوجية والنظرية البراجماتية للمعنى وقواعد التفسير علي أساس التحليل البنيوي للنص من أدوات عملية التحليلي الكيفي ،والتي تتضمن المبادئ الأساسية لتلخيص وشرح وهيكلة المادة محل الدراسة (**Howley, 1999 -Langer, 1998)**

لكن هذه الأدوات المنهجية لم تكن كافية لدراسات الرسائل أو النصوص الإعلامية في علاقاته المتشابكة والمعقدة مع الرسائل السابقة ، ومع بنية المجتمع والقوة المهيمنة عليه ، من هنا تطورت محاولات التحليل الكيفي في الثمانينات من القرن الماضي باتجاه تبنى منهجية تحليل الخطاب ،وتحليل الخطاب النقدي، وقد تأثرت هذه المحاولات بهيمنة إتجاه ما بعد البنيوية . ورغم عدم الاتفاق علي مفهوم الخطاب إلا أنه أصبح يستخدم علي نطاق واسع في تحليل النصوص الإعلامية ، وقد نشأ مفهوم الخطاب في إطار دراسات اللغة والألسنية أو علم اللغة الحديث، رغم أن الألسنيون الأوائل أمثال سوسير Saussure 1857-1913، وهلمسلف Hjemslew 1899- 1965، وجاكبسون Jakobson 1896- وغيرهم لم يناقشوا موضوع الخطاب وإنما كان بيسنس Buyssens أول من طرح مسألة الخطاب في الدراسات الألسنية عام 1943،ولكن النقلة الألسنية الكبيرة في مسائل الخطاب جاءت علي يد بنفست Benvenist 1902-1967وفي الوقت الحالي هناك توجه كامل- كما يقول الزواوي بغورة- في فرنسا يسمي تحليل الخطاب ، ويظهر في أشكال مختلفة يمكن تصنيفها إلى أربع منظومات كبري هي ، المنظومة المنطوقية ، والمنظومة الحجاجية ، والمنظومة السردية والمنظومة الخطابية ، وقد ارتبطت الأعمال الأولى للبنيويين الفرنسيين- أمثال كلود ليفي شتراوس ، ورولان بارت ، وجان لكان وميشيل فوكو - بهذه الأشكال من تحليل الخطاب **(بغورة ، 2004).**

ويمكن القول أن السيميولوجيا (العلاماتية) قد قادت في الستينات وأوائل السبعينات حقل تحليل النصوص الإعلامية، ووفرت للباحثين أسلوبًا لتحيل المعني ، بينما هيمن التحليل الأيديولوجي علي هذا الحقل في أواخر السبعينات وبداية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثمانينات ، وقد زود الباحثين بمنهج للتفكير في العلاقات بين المعني والبنية الاجتماعية ،ومنذ منتصف الثمانينات وحتى الآن أصبحت نظرية الخطاب هي التي تقود عمليات تحليل النصوص الإعلامية ، ولقد دفعت نظرية الخطاب الباحثين إلى إعادة التفكير في العلاقة بين المعنى والبنية الاجتماعية ،من خلال التركيز علي السلطة من داخل نظام المعني وليس من خارجه ، فنظم المعني نفسها تعتبر سلطة ،وهي لا تظهر بسهولة كنظم ، مثل بنية اللغة بل من خلال ممارسات ذات دلالة ، إنها ليست ببساطة المعاني المرتبطة بالممارسات الاجتماعية ، كما يقول ألتوسير في نظرية الأيديولوجية ، بل إن المعني والممارسة لا يمكن التمييز بينهما فهما مترابطان ، أي أن المعني هو الممارسة في نظرية الخطاب **(Tolson, 1996, p196)** .

إن الخطاب ليس هو اللغة ،كما توجد اختلافات عميقة بين الخطاب والنص، وذلك رغم نشأتهما التقليدية من الدراسات اللغوية ، إن الخطاب والنص يبحثان في البناء والوظيفة لوحدات اللغة الكبرى ، كما تطورا في نفس الوقت تقريبا ،لذلك هناك من يعتبرهما متطابقين ، لكن لاشك في وجود فروق كبيرة بينهما علي مستوي المفاهيم والمناهج والوظائف ، فالخطاب يركز علي اللغة والمجتمع . **(Tankard,1994)** بالإضافة الي أن الخطاب متحرك ومتغير ، وله جمهور وهدف وقصد معين ، ويتشكل من مجموعة من النصوص والممارسات الاجتماعية .

ويشير الخطاب - كما يقول فيركلاو - إلى استخدام اللغة حديثا وكتابة , كما يتضمن أنواعًا أخرى من النشاط العلاماتي مثل الصور المرئية - الصور الفوتوغرافية ،الأفلام ،الفيديو ،الرسوم البيانية - والاتصال غير الشفوي – مثل حركات الرأس أو الأيدي ... الخ – ويخلص إلى أن الخطاب هو أحد أشكال الممارسة الاجتماعية ، ثم يستخدم فيركلاو الخطاب بمعني أضيق حين يقول : "الخطاب هو اللغة المستخدمة لتمثيل ممارسة اجتماعية محددة من وجهة نظر معينة" ، وتنتمي الخطابات بصفة عامة إلى المعرفة ،وإلى بنـاء المعرفــة . **(fairclough ,1995,pp 53-56)**

علي أن فيركلاو وغيره من الباحثين في حقل تحليل الخطاب النقدي قد توسعوا في تعريفاتهم واستخداماتهم لمفهوم الخطاب بحيث غدا عندهم يشمل كل شيء ، وتقع تحت مظلته تخصصات ومجالات واسعة في العلوم الاجتماعية ومن منظور نقدي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ترافق ذلك بالتوسع في استخدام تحليل الخطاب النقدي عبر تخصصات مختلفة ولأغراض متباينة ، مع غياب التعاون بين هذه التخصصات ، ما أدى إلى عدم الاتفاق علي ما هو تحليل الخطاب، وكيف يمكن تطبيقه ، وما هي حدوده وإمكانياته ، ومثل هذه الحالة لا تقلق الكثير من الباحثين حيث يري البعض أن كثيرًا من المفاهيم والنظريات التي تستخدم في العلوم الاجتماعية لا يوجد حولها اتفاق ،كما هو الحال في عدم الاتفاق حول تعريف الأيديولوجية بين التخصصات المختلفة . **(Tankard,1994)**

إن عدم الاتفاق علي مفهوم الخطاب واستخداماته لم تمنع من انتشار بحوث تحليل الخطاب وتناولها لموضوعات ومجالات متعددة ، من بينها تحليل الخطاب الإعلامي ، الذي يعتبر تطورًا مهمًا لمجال التحليل الكيفي للرسائل الإعلامية وشروط إنتاجها وتداولها وتأثيرها في الجمهور ، فضلا عن تفاعلاتها مع الظروف التاريخية و المجتمعية .

مجمل التطورات السابقة فيما يتعلق بتطور تحليل النصوص والرسائل الإعلامية انعكست بصور مختلفة، وأحيانا متباينة علي البحوث والدراسات العربية في مجال الإعلام ، كما كان لها - وبدرجات مختلفة - نماذجها وممثليها ، ولكن بصفة عامة كانت تلك التطورات المنهجية والنظرية تنتقل إلى الدراسات والبحوث العربية بفارق زمني كبير ، كما كان يجري تبنيها أحيانا بطريقة آلية وبدون تمثل لخصوصيات اللغة والثقافة العربية . وتكفي الإشارة هنا إلى أن البحوث الإعلامية العربية، والتي صدرت باللغة العربية في الجامعات المصرية استخدمت تحليل المضمون الكمي لأول مرة في مطلع السبعينات ، وقد هيمن التحليل الكمي للرسائل الإعلامية علي دراسات وبحوث الإعلام- خاصة رسائل الماجستير والدكتوراه – في مصر خلال السبعينات والثمانينات ، إلي ان ظهرت في نهاية الثمانينيات أول دراسة استخدمت تحليل الخطاب اعتمادا علي مساهمات اللغويات واللغويات النقدية ، حيث استخدمت التحليل الاسلوبي والدلالي **(خليل ,1989).** ثم ظهرت بعدها العديد من الدراسات والرسائل العلمية التي استخدمت منهجية تحليل الخطاب .

أولاً :إشكالية الدراسة :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترتبط إشكالية الدراسة بمجمل الإشكاليات الخاصة بتطور تحليل الرسائل والمضامين الإعلامية وأهمها عدم التوازن بين التحليل الكمي والكيفي في دراسات وبحوث تحليل مضمون الرسائل الإعلامية ،وهيمنة التحليل الكمي علي التقاليد العلمية والمنهجية في مجال بحوث ودراسات الإعلام علي المستويين العالمي والعربي . ورغم محاولات استخدام مناهج وأدوات التحليل الكيفي ، وتطورها باتجاه استخدام تحليل الخطاب والاستفادة من علوم اللغويات ، والسيميولوجيا وعلم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي والدراسات الادبية والاثنوجرافيا والدراسات الثقافية ،إلا أنه لا يوجد اتفاق حول الخطاب , كما تختلف المفاهيم النظرية والاستخدامات العملية لمفهوم الخطاب ، وقد انعكست تلك الإشكاليات علي المحاولات العربية لتحليل الخطاب الإعلامي ، والتي لم تتمكن من تحدي التقاليد العلمية السائدة و استخدام مناهج وأدوات التحليل الكيفي ، ومناهج تحليل الخطاب إلا في مطلع التسعينات ، وبعد أن أنجزت بحوث ودراسات تحليل الخطاب في الدول الاسكندنافية و بريطانيا وأستراليا وألمانيا والولايات المتحدة خطوات مهمة علي طريق التبلور المنهجي والإجرائي .

وتتبلور الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة في أن الفجوة الزمنية والعلمية بين مدارس تحليل الخطاب في العالم والمحاولات العربية في هذا المجال قد وفرت للباحثين العرب فرصة الإطلاع علي ما قدمته مدارس التحليل الكيفي ومدارس تحليل الخطاب فى العالم من مساهمات نظرية وتطبيقات عملية ،لكنها ضاعفت من حدة ونوعية الإشكاليات التى تواجهها البحوث العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي - كما تجسده البحوث والدراسات التي أجريت في مصر باللغة العربية – حيث انتقلت الإشكاليات المعرفية والمنهجية الخاصة بمفهوم الخطاب وحدود استخداماته ونتائجه إلى الدراسات العربية ،مما أدى إلى بعض الخلط المفاهيمي والمعرفي في استخدام بعض الدراسات العربية لتحليل الخطاب . من هنا فإن الدراسة تسعي إلى مناقشة إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية .

ثانيا :أهداف الدراسة :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في ضوء الإشكالية الرئيسية للدراسة وما ارتبط بها من إشكاليات يمكن تحديد أهداف الدراسة في :

1- التعرف علي الملامح الرئيسية لمدارس تحليل الخطاب والتي جاءت من تخصصات وعلوم مختلفة ، وأثرت علي البحوث العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي.

2- الكشف عن أهم الاختلافات المعرفية والمنهجية بين مدارس تحليل الخطاب ، والتي أدت إلى عدم الاتفاق حول مفهوم الخطاب ، وحدود استخدامات تحليل الخطاب ، ونتائجه .

3- رصد وتحليل نشأة وتطور البحوث والدراسات الإعلامية العربية التي ظهرت في مصر واستخدمت مفاهيم وأدوات ومناهج تحليل الخطاب .

4- الوقوف علي مدي الدقة والوضوح في مفاهيم وإجراءات استخدام وتطبيقات تحليل الخطاب في الدراسات العربية ،في ضوء تأخر ظهورها واعتمادها علي مدارس تحليل الخطاب الأوربية والتي تعاني من إشكاليات عدم الاتفاق علي مفاهيم الخطاب وحدود استخدامات تحليل الخطاب ونتائجه .

ثالثا : تساؤلات الدراسة :

1- ما هي العلاقة بين تحليل الخطاب والدراسات اللغوية من جهة , وبين تحليل الخطاب ودراسة النص من جهة ثانية ؟
2- ما هي الجذور المعرفية لتحليل الخطاب؟ وما هي أهم مفاهيم الخطاب واستخداماته ؟
3- ما المقصود بتحليل الخطاب والتحليل النقدي للخطاب ؟ وما هي حدود استخداماتهما ؟
4- ما المقصود بالخطاب الإعلامي وكيف يمكن تمييزه عن بقية الخطابات في المجتمع ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- إلى أي مدي يمكن التقريب بين المدارس المختلفة لتحليل الخطاب ؟
6- لماذا تأخر ظهور الدراسات والبحوث الإعلامية التي استخدمت تحليل الخطاب ؟
7- ما هي الظروف والتحديات التي أحاطت بنشأة الدراسات والبحوث العربية التي استخدمت مفاهيم تحليل الخطاب ؟
8- كيف انعكست الإشكاليات المنهجية الخاصة بمفاهيم الخطاب وحدود استخداماته علي الدراسات والبحوث العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي ؟
9- ما هي أهم موضوعات الدراسات والبحوث الإعلامية العربية التي أجريت في مصر واستخدمت مفاهيم ومناهج تحليل الخطاب ؟
10- ما هي أهم الأصول المعرفية والإجراءات المنهجية التي استخدمتها الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب ؟
11- كيف يمكن مواجهة وحل الإشكاليات التي تعاني منها الدراسات والبحوث الإعلامية العربية التي اعتمدت علي تحليل الخطاب ؟

رابعا : حدود الدراسة وأهميتها :

تستمد هذه الدراسة أهميتها من حداثة استخدام تحليل الخطاب فى البحوث والدراسات الإعلامية العربية ، ومن ثم قلة الكتابات النظرية والتطبيقات العملية في مجال تحليل الخطاب ، مع وجود قدر من الغموض المفاهيمى والاضطراب النظري حول تحليل الخطاب واستخداماته ،من هنا تبرز أهمية التأصيل النظري للموضوع ،ومناقشة إشكاليات استخدام تحليل الخطاب في البحوث والدراسات العربية ،بغية التوصل إلى بعض المقترحات لتطوير استخدامات تحليل الخطاب الإعلامي في البحوث والدراسات العربية .

وتقتصر الدراسة علي وصف وتحليل نماذج من رسائل الماجستير والدكتوراه التي نوقشت وأجيزت في كلية الإعلام جامعة القاهرة ، واستخدمت تحليل الخطاب ، ويأتى اختيار رسائل الماجستير والدكتوراه في ضوء :-

- فرضية أن تلك الرسائل تراعي القواعد والتقاليد العلمية ، كما تلتزم بأكبر قدر ممكن من الدقة المنهجية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- معرفة ومتابعة الباحث للمساهمات النظرية والتطبيقية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي في مصر .
- عدم قدرة الباحث علي الإطلاع علي بحوث ودراسات تحليل الخطاب الإعلامي في تونس والجزائر والمغرب ، وذلك بالرغم من محاولاته العديدة للحصول علي نماذج منها . ويمكن القول أن تلك المحاولات كشفت عن ندرة البحوث والدراسات المكتوبة باللغة العربية عن تحليل الخطاب الإعلامي في دول المغرب العربي ،لذلك ربما تقدم البحوث والدراسات المصرية نموذجًا للمساهمات العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي .

وإذا كانت العناصر السابقة تمثل حدودًا أو قيودًا معلنة مفروضة علي الدراسة ، فان هناك قيودًا وحدودًا ضمنية أو غير معلنة تقتضي الأمانة العلمية الاعتراف بها وتتمثل في ارتباط موضوع الدراسة بمجال عمل الباحث واهتماماته مما قد يخلق نوعًا من التعاطف غير المعلن مع الموضوع ، كما أن محاولته للوقوف علي مدي دقة ووضوح استخدام الدراسات التي تشكل عينة الدراسة لمنهجية تحليل الخطاب ربما يوقعه في إشكالية تقييم زملاء وأصدقاء من باحثي الإعلام في مصر تربطهم والباحث علاقات مهنية وشخصية، فضلا عن أن إدراج الباحث لرسالته للماجستير ضمن عينة الدراسة ربما يوقعه في إشكالية تقييم الذات بما لها وعليها من سلبيات وإيجابيات .

خامسًا : الإجراءات المنهجية :

تندرج الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التحليلية ، لذلك اعتمدت علي المنهج المسحي بشقيه الوصفي والتحليلي ، بالإضافة إلى المنهج المقارن ، أما عينة الدراسة فتكونت من 9 رسائل للماجستير والدكتوراه نوقشت في كلية الإعلام جامعة القاهرة، خلال الفترة من 1990 إلى 2003،وقد اختيرت هذه الرسائل بطريقة عمدية بحيث يتوافر فيها شرطان ،الأول تقديم إطار نظري حول منهجية الخطاب واستخداماته ، والثاني استخدام منهجية الخطاب في تحليل موضوعات إعلامية متنوعة ، ويمكن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القول أن هذه العينة تمثل أكثر من نصف رسائل الماجستير والدكتوراه التي استخدمت تحليل الخطاب في كلية الإعلام جامعة القاهرة .

سادسًا :مدارس تحليل الخطاب الإعلامى :

سبقت الإشارة إلى تعدد وتداخل التخصصات والمدارس اللغوية والألسنية والأدبية والفلسفية التي تستخدم مفهوم الخطاب ومنهجية تحليل الخطاب، الأمر الذي أدي إلي اختلاط وأحيانا غموض مفهوم الخطاب والأسس المعرفية والنظرية لمنهجية تحليل الخطاب واستخداماته ، من هنا تأتي أهمية عرض وتحليل أبرز هذه المدارس والتخصصات في الدراسات الألمانية والاسكندنافية والأنجلوسكسونية للوقوف علي أهم مساهماتها النظرية والتطبيقية في مجال تحليل الخطاب بعامة والخطاب الإعلامي بخاصة ، وسيحاول الباحث عدم التقيد بالمدرسة الفرنسية فقط والتي كان لها فضل الريادة ،إذ لا يمكن القبول بادعاء دومينك مانجينوMaingueneau - الباحث الفرنسي المتخصص في تحليل الخطاب - والذي يحصر تحليل الخطاب داخل المدرسة الفرنسية وحدها **(يوسف , 2004)**

1- مدارس التحليل اللغوي للخطاب الإعلامى :

تظهر الأصول النظرية لتحليل الخطاب اللغوي في أعمال عالم اللغة الشهير فرديناند دي سوسير ، الذي أسس المدرسة البنيوية في دراسة اللغة ، والتي تطورت بعد ذلك واهتمت بتحليل الأسلوب ، والنص ، وبالتطبيقات اللغوية في مجالات وسياقات مختلفة ، لعل أهمها النظريات الأدبية الحديثة والمعاصرة اعتمادا علي مفهوم تحليل الخطاب . **(Bartton, 2002, pp 575-598)** .

في هذا الإطار ظهرت اتجاهات في دراسة الأسلوبية ، الأول أقرب إلى البلاغة ، والثاني يدرس علاقة التعبير بالفرد أو الجماعة ، وقد أسس شارل بالي علم الأسلوبية اعتماداً علي دراسات سوسير في اللغة ، وقد عرف علم الأسلوبية بأنه يبحث في لغة جميع الناس بما تعكسه – لا من أفكار خالصة – بل من عواطف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومشاعر ، وأن موضوع الأسلوبية هو لغة كل الناس ...فجميع الظواهر اللغوية بمستوياتها المختلفة يمكن أن تكشف عن الخواص الأسلوبية في اللغة، لكن تلاميذ بالي ضيقوا من مجال بحث الأسلوبية وحصروه في الدراسات الأدبية، كما أخضعوا الجوانب الجمالية للتحليل اللغوي اعتماداً علي مناهج نفسية وبنيوية ، وقد أوضح سوسيير أن علم الأسلوب يمثل المجال اللغوي كإبداع بينما علم اللغة يمثل المجال اللغوي كتطور وتاريخ ،كذلك ظهرت اتجاهات أحدث اهتمت بشخصية المؤلف و بعملية التفاعل بين المؤلف والقارئ **(فضل, 1985, ص ص 21 - 37)** ، وقد اهتم علماء اللغة منذ وقت طويل باللغة المستخدمة في وسائل الإعلام حيث ركزوا على تركيب الجمل والقواعد النحوية والبلاغية المستخدمة ، كما ناقشوا السمات البنائية والبلاغية الخاصة للغة الإعلام أو ما عرف بالخطاب الإعلامي .

وتعرضت الدراسات اللغوية التقليدية والأسلوبية إلى انتقادات واسعة بسبب تركيزها علي اللغة أو الأسلوب بعيداً عن السياق المجتمعي ، وعلاقات القوة داخل المجتمع ، من هنا ظهر ما يعرف بالاتجاهات اللغوية الاجتماعية ، والتي اهتمت بدراسة اللغة الإعلامية من منظور اجتماعي ثقافي برز بوضوح في أعمال عالم اللغويات الاجتماعية بل Bell والذي اهتم بدراسة علاقات الارتباط بين الملامح اللغوية المتغيرة وبين الملامح المتغيرة للسياق الاجتماعي . وقد خلص علي سبيل المثال إلى أن درجة تبسيط نطق نهايات الكلمات في لغة المذيعين تختلف فيما بين محطات الإذاعة في نيوزيلندا وفقا للمهن الرئيسية لجماهير المستمعين (**Fairclough, 1995, p 27) .**

وتركز دراسة تحليل الخطاب ذات المنحي اللغوي الاجتماعي علي النص الكامل سواءً كان مكتوباً أو منطوقاً ، كما تهتم أيضاً بشكل النص،وبنيته وتنظيمه علي كل المستويات الفونولوجية - علم الأصوات الكلامية – والقواعد النحوية ، لكن اللغة هنا تشمل القواعد النحوية وتركيب الجملة ومستويات تنظيم النص في مفاهيم خاصة، فضلاً عن بنية المناقشات العامة والتي تتجلى من خلال ما هو اجتماعي وسياسي والقواعد المؤسسية لممارسة الحوار **(Currtin, 1996)**. إن السؤال الرئيسي الذي يسعى تحليل الخطاب إلى الإجابة عليه هو لماذا أخذ هذا النص هذا الطريق ولم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأخذ طريقاً آخر؟، وتري كوتس جينيفر coates jennifer أن إجابة هذا السؤال تتطلب تحليل ستة مستويات هي :-

- أن الخطاب يشكل من خلال الكلمة كما أنه يشكل الكلمة
- اللغة تشكل الخطاب والخطاب يشكل اللغة
- الممارسة تشكل الخطاب ، كما أن الخطاب يشكل الممارسة
- الخطاب يشكل من خلال الخطاب السابق – خطاب الماضي – والخطاب يشكل إمكانيات خطاب المستقبل
- الخطاب يشكل من خلال وسيلته ،كما أن الخطاب يشكل إمكانيات هذه الوسيلة
- الخطاب يشكل بواسطة غرضه ، كما أن الخطاب يشكل الأغراض الممكنة

وتؤكد كوتس جينيفر أن الخطاب يرتبط باللغة والدراسات الأدبية ودراسات التعبير والاتصال وتخصصات أخرى متعددة **(Jennifer, 1988, pp237 - 247)**

ومهدت المساهمات السابقة إلى ظهور مدرسة اللغويات النقدية critical linguistics في السبعينات من القرن العشرين ، بجامعة إيست انجليا علي يد مجموعة من الباحثين ،وتقوم هذه المدرسة علي محاولة الدمج والتأليف بين الدراسات اللغوية النظامية والدراسات اللغوية الاجتماعية والمناهج النقدية والدراسات السميولوجية ، حيث تنطلق من تعدد وظائف النص ،خاصة النص الإعلامي ،فهناك الوظيفة الفكرية – تكوين الأفكار – ووظيفة تصوير العلاقات الاجتماعية والهويات الاجتماعية ، كما تنظر هذه المدرسة إلى النصوص كنتاج لاختيارات من بين نظم الخيارات المتاحة من ناحية النحو ومفردات الكلمات وما إلى ذلك ، ويعتبر الخطاب هنا مجالاً للعمليات الأيديولوجية وللعمليات اللغوية ..مع وجود علاقة محددة ومقررة بين هذين النوعين من العمليات ، وبشكل محدد يمكن أن تحمل الاختيارات اللغوية داخل النصوص معناً أيديولوجياً ، كما تركز تلك المدرسة علي عملية الإقرار أو التقديم representation أي طريقة عرض الأحداث، والوظيفة الفكرية أي المتعلقة بفكرة معينة **(Howley, 1999- Fairclough,1995,p 23)** . ولعل ترو Trew ، وهودج و كريس Hodg and

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Kress من أبرز رموز تلك المدرسة، حيث قدم الأول أبحاثاً عديدة حول مسيرة الخطاب في الصحف ،ركز فيها على عملية تحويل المواد الإخبارية الواردة من وكالات الأنباء والمصادر الأخرى إلى تقارير إخبارية منشورة ، والتغييرات التي تخضع لها القصة الإخبارية من تقرير لآخر ،أو من التقارير إلى التحليل المعمق .. إلى المقالات الافتتاحية ، عبر فترة زمنية معينة ، فقد يحذف الفاعل بهدف ترك القوي الفاعلة أو الجهات المسئولة غير محددة ، كما قد تعاد صياغة الجمل أو يقع الاختيار على كلمات محددة بطريقة معينة تتضمن اختيارات وتحيزات أيديولوجية ، بينما ركز هودج و كريس علي سلاسل التناص في الممارسات الخطابية ، وعلي أهمية اختيار المفردات اللغوية والضمائر والأفعال المساعدة . وميز هودج و كريس بين النص والخطاب من ناحية المفاهيم والإجراءات النظرية والمنهجية والأهداف التي يسعى كل منهما إلى تحقيقها، فالخطاب هو العملية الاجتماعية التي تكون النصوص متضمنة فيها ، بينما النص هو جزء من الخطاب ، أي أن النصوص هي تجليات للخطاب ، كما ميز هودج وكريس بين الخطاب والأشكال الأدبية رغم أنهما يحملان معاني اجتماعية . **(Gunter and Roert, pp67-73- pennycook ,2002)**

وقد بلور هودج وكريس نموذجاً لتحليل الخطاب من خلال النظر إلى اللغة كأيديولوجية ، تماما كما فعل هاليداي Halliday في السبعينات من القرن العشرين ، حيث استفادا من نظرياته في تحليل الخطاب ، واتفقا معه في أن قواعد اللغة هي اختيارات وليست قواعد ، كما أن النحو هو نظرة للواقع وليس عملا محايدا كما يعتقد معظم الناس ،لذلك ركزا علي أن اللغة والتركيبات اللغوية يمكن أن تتحدد وتتمفصل مع الأيديولوجية ، وتمنح الشرعية لمؤسسات السلطة في المجتمع ، ويتكون نموذج هودج و كريس من شبكة من المفاهيم تشمل الفاعلين والأفعال أو العمليات والمفعول به ، والعلاقات بينها ، وعلي سبيل المثال عندما نقرأ جملة (البوليس أطلق النار علي المشاغبين)، فإن الفاعل واضح بينما المشاغبون هم المتأثرون بالفعل ، لكن عندما نقرأ (ويجري رجل الشرطة) ، فإننا لا نعرف ما هي طبيعة العلاقة وما هو سياق وهدف قيام رجل الشرطة بذلك ، وهل هو هنا في دور الفاعل أم المفعول به**(Delinger,1995 - Tankard,1994)**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورغم أهمية الاستنتاجات التي توصل إليها الباحثون اعتماداً على الأطر النظرية والنماذج التحليلية لمدرسة اللغويات النقدية إلا أنها تعرضت لانتقادات عديدة نظراً لإهمالها بحث قواعد التركيب اللغوي والنحوي ، وكذلك لعدم اهتمامها بطبيعة فهم أو تأويل الجمهور للنصوص التي تشكل الخطاب الإعلامي ، أي أن التحليل ينحصر في إطار العمليات التي يقوم بها المحللون.

2- <u>ميشيل فوكو وتحليل الخطاب :-</u>

منحت أعمال فوكو الخطاب كمفهوم ومنهج للتحليل حياة جديدة وفتحت آفاقاً رحبة أمام الباحثين في العلوم الاجتماعية ،حيث أسس مفهوماً للخطاب لا يقوم علي أصول ألسنية أو منطقية ،بل يتشكل أساسا من وحدات سماها بالمنطوقات ، وهذه المنطوقات تشكل منظومات منطوقية تسمي بالتشكيلات الخطابية ، هذه التشكيلات تكون دائماً في حقل خطابي معين ، وتحكمها قوانين التكوين والتحويل ، وعلي هذا الأساس يخلص الزواوي بغورة إلى أن الخطاب يختلف عن الجملة والقضية ، كما يختلف التحليل الخطابي عن تحليل اللغة والتحليل المنطقي ، ذلك أن تحليل الخطاب يعتمد علي الوصف الأركيولوجي والتحليل الجينولوجي – و يسعى الأول إلى سن قوانين ندرة المنطوقات وتراكمها ، أما الثاني فهو يعني البحث عن البدايات لكن بطريقة غير تقليدية تختلف عن الطريقة التقليدية التاريخية حيث تركز علي تبين الإنقطاعات والفواصل – من أجل الكشف عن ندرة وخارجية وتراكم وقبلية الخطابات أو بتعبير دقيق يقوم علي التحليل التاريخي للخطابات ، ولا تعود مرجعية الخطاب إلى الذات أو إلى المؤسسة أو إلى الصدق المنطقي أو إلى قواعد البناء النحوي ، وإنما إلى الممارسة **(بغورة , 2000 , ص ص 124 – 144)**

وركز فوكو علي نقد وهدم التفكير الغربي الذي كان دائماً يركز علي معني أن نكون بشراً بدلاً من كيف نكون بشراً ، وفي هذا السياق أكد علي وفاة الفاعل الموحد أو الوحيد وظهور كثير من الفاعلين ، فالبشر ليس هم الفاعل الوحيد بل هم منتجات الممارسات الخطابية ، كذلك فإن الموضوعات ليست حقائق اجتماعية بل هي عملية تتعلق بكيف يأتي الفاعلون بالأشياء إلى الوجود من خلال اللغة ، لذلك يمكن القول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بوجود علاقة بين السلطة أو القوة power واللغة ، وبالتالي يجب اعتبار الفاعلين تكوينات اجتماعية تم إنتاجها من خلال الخطابات الاجتماعية التي تضع هذه التكوينات الاجتماعية في حقل علاقات القوة **.(Langer, 1998)**

ولعل تهميش فوكو لدور البشر كفاعلين اجتماعيين هو ما عرضه لكثير من النقد ، بالإضافة إلى تعدد وغموض بعض المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها في تحليله للفكر الغربي ، وفي مقدمتها مفهوم الخطاب ذاته ، حيث أشار إلى الخطابات كتصريحات ، وعرف تحليل الخطاب علي انه تحليل للأداء الشفوي ، كما اعتبر الخطابات عوامل نشطة لتكوين وبناء المجتمع مع تبعيتها في الوقت نفسه لمجتمع معين أو مؤسسة معينة ، وفي موضع آخر اعتبر الخطابات تعبيراً عن علاقات القوة ، كما تشير أيضاً إلى كل ما يمكن التفكير فيه أو كتابته أو قوله بشأن موضوع أو شيء معين ،ويهدف تحليل الخطاب لدي فوكو إلى تنوير البنية غير الواعية التي تحد من طريقة تفكيرنا ، وفي كتابه الشهير (أريكولوجيا المعرفة) حاول فوكو إنشاء طريقة غير تأويلية وغير جدلية وغير متعلقة بنظرية المعرفة لوصف وتصنيف التكوينات الخطابية التاريخية (**Langer, 1998**). إن تحليل الخطاب يتعارض مع منهج التحليل المنطقي ومنهج التأويل ، إذ لا يبحث في باطن الخطاب ولا خلف اللغة لكنه يتوقف عند حرفية الخطاب ، عكس التأويل الذي يبحث في باطن الخطاب مسائلا المعني والمضمون والفكرة المستترة وراء اللفظ **(بغوره 2004)**

ويخلص الزواوي بغورة إلى أن الخطاب يتنافى وما تعودنا علي تسميته في إطار تاريخ الفكر بالنص ، والأثر والقضية والجملة والمجال العلمي أو الفرع العلمي ، إن المفهوم الخاص بالخطاب لا يمكن اشتقاقه مباشرة من الألسنية أو التحليل الخطابي أو فلسفة التحليل ، ولكن في نفس الوقت لا يمكن فصله عن مجمل الحوارات والمناقشات والأسئلة المطروحة والمناقشات والأسئلة في هذا الميدان والتي كانت موضع تفكير فوكو ، وإن بطريقة مختلفة وبمفاهيم مغايرة (**بغورة , 2000 ، ص 111**).

ويحتل مفهوم المعرفة والسلطة (القوة) مكانة مركزية عند فوكو، حيث ناقش كافة أشكال السلطة ، وقد حدد مفهوم المعرفة- السلطة بالجمع والربط بينهما لا بالفصل والتمييز كما هو الحال عند الفلاسفة والباحثين الماركسيين أو المنتمين لمدرسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فرانكفورت **(بغورة ،2000 ، ص ص 231- 243)** ،وعارض فوكو فكرة أن السلطة مساوية للعنف والإخضاع والهيمنة كقاعدة أساسية ، بل يمنح السلطة دوراً إيجابياً ، دور الإنتاج دون إهمال للعنف كممارسة أو كحل تلجأ إليه السلطة في بعض الأحيان ، ثم يعرف السلطة بأنها مجموعة من علاقات القوي ضمن استراتيجيات محددة **(بغورة ،2000، ص233)** ، لكن قد تتمفصل السلطة والمعرفة في الخطاب ، يقول فوكو" يجب ألا نتخيل عالماً للخطاب مقسماً بين الخطاب المقبول والخطاب المرفوض ، أو بين الخطاب المسيطر والخطاب المسيطر عليه،بل يجب أن نتصوره كمجموعة عناصر خطابية تستطيع أن تعمل في استراتيجيات مختلفة (وذلك) لأن الخطابات عناصر أو كتل تكتيكية في حقل علاقات القوي ، قد تكون هناك أشكال متباينة منها وحتى متناقضة داخل الإستراتيجية الواحدة نفسها ، وبالعكس يمكن أن تتنقل هذه الخطابات بين استراتيجيات متناقضة دون أن يتبدل شكلها **(بغورة , 2000 , ص 278)**، ويخلص الزواوي إلى أن الخطاب ليس فقط موضوعًا من الموضوعات كالمعرفة والسلطة والذات ، بل الحقل أو الميدان الذي منه تتمفصل المعارف والسلطات والذوات ، لذلك لا يمكن أن نقول أن هناك خطابات مقبولة وأخرى مرفوضة **(بغورة ،2000, ص 278)**

ويلاحظ أن الباحثين قد اختلفوا حول تصنيف مساهمات فوكو ، فهناك من يري انها تدخل في سياق ما بعد الحداثة ، بينما يعتبره آخرون ما بعد بنيوي ،لأنه يؤكد علي الوجود الإنساني اعتمادا على أشكال المعرفة والخطابات التي تعمل من خلال اللغة ، إن اللغة والخطابات تحدد الواقع بالنسبة لنا ،كما أن الخطاب يشكل هويتنا وسلوكنا ..فالخطابات تحدد الحياة الاجتماعية من حولنا ..وتحدد من نحن وطريق حياتنا .. إن الخطاب يشكل هويتنا وسلوكنا كما ينعكس في الصراع حول السلطة **Tolson, (1996 ,p-234.pp421-422) .**

ولاشك أن أعمال فوكو قد أحدثت تأثيرات معرفية ومنهجية واسعة، كما أثارت جدلاً واسع النطاق وخضعت لقراءات متعددة ، وأدت بعض تلك القراءات إلى تطوير لبعض مفاهيم فوكو نفسه ، حيث أعاد بعض الباحثين تعريفها وتوظيفها في مجالات متنوعة من بينها بحوث ودراسات تحليل الخطاب الإعلامي ، حيث تكاد لا تخلو دراسة في تحليل الخطاب الإعلامي أو في التحليل الكيفي لمضامين وسائل الإعلام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا وتستفيد من أعمال فوكو ، رغم أنه لم يكتب عن وسائل الإعلام أو الثقافة الشعبية بشكل مباشر ، وتبدو تأثيرات فوكو واضحة في أعمال تحليل الخطاب الإعلامي التي قدمها علماء اللغويات خاصة اللغويات الاجتماعية واللغويات النقدية ، كما ستظهر بوضوح في أعمال فيركلاو ، وفان ديك وآخرين .

3- التحليل السميولوجي للخطاب الإعلامي :-

السيميولوجياSemiology والسيميوطيقا مصطلحان منقولان عن الإنجليزية ، وهما بدورهما منقولان عن الأصل اليوناني Semeion بمعني الإشارة أو العلامة ، ولذلك فقد ترجم المصطلح إلى العربية أحيانا بعلم الإشارة وأحيانا أخري بعلم العلامات ،وإن فضل معظم الباحثين العرب ترجمتهما كما هما في الأصل الإنجليزي أو الفرنسي السيميولوجيا والسيميوطيقا ، ويترجمهما البعض بالسيمياء ،والسميائية ،والرمزية **(النفادي , 2002)** ، وإذا كان موضوع العلامة هو أساس علم السميولوجيا فإن وسائل الإعلام تنقل وأحيانا تخلق فيضًا من العلامات والرموز، من هنا ظهر الاهتمام بدراسات سيميولوجيا الخطاب الإعلامي ، وقد بدأ هذا الاهتمام بدراسة صور الإعلانات أو الصور الإشهارية في الأربعينات من القرن العشرين حيث أثير نقاش واسع حول العلاقة بين السميولوجيا واللسانيات ،بمعني هل سيميولوجيا الصورة مجرد نقل حرفي مباشر لمفاهيم اللسانيات مطبق علي النماذج البصرية ؟ وفي إطار محاولات الإجابة علي هذا السؤال تطورت مناهج تحليل الصورة الإشهارية (الإعلانية) استنادًا إلى لسانيات دي سوسيير ، وانثربولوجيا ك. ليفي شتراوس ورياضيان شانون ،وأعمال بول ريكور التأويلية، وأبحاث رولان بارت السميولوجية ، والأعمال الخاصة بالتواصل التي بدأت في سنة 1960 في المدرسة العليا بباريس ، ويختزل ك . كوست أنواع المناهج التي انبثقت عن هذه الأبحاث في مجال تحليل الصورة في منهجين اثنين هما المقاربة اللسانية ، والمقاربة البلاغية التي تزعمها رولان بارت ، ثم ظهر بعد ذلك المنهج البنيوي الذي تزعمه لوي بورشر L.porcher ، ومنهج السميائيات السردية الذي تزعمه فلوش J.M.Floch **(غرافي , 2002، ص ص 221-249) .**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتفاعلت هذه المناهج مع بعضها تأثيرًا وتأثرًا وأنتجت الكثير من البحوث حول خطاب الصورة الإشهارية (الإعلانية) والصورة الفوتوغرافية ،والصورة السينمائية ، ومع انتشار الصور التليفزيونية اتسع مجال عمل تلك النوعية من دراسات تحليل الصور وعلاقاتها بالنص المصاحب من جهة وعلاقتها بالواقع من جهة أخرى ،مع الأستفادة من الاتجاهات المعاصرة في تأويل الخطاب . في هذا السياق أفردت مجلة الاتصال الفرنسية عام 1964عددًا خاصًا ساهم فيه عدد من الباحثين الذين وضعوا الأسس الأولية لمشروع تحليل الخطاب أهمهم بريموند ، و تودوروف ، و مينز ، ورولان بارت **(القرني ،1997،ص ص37-52)** ، لكن تأمل أسماء هؤلاء الباحثين يرجح القول بأن محاولاتهم انصبت علي وضع أسس تحليل الخطاب السميولوجي في وسائل الإعلام أو بعبارة أخرى تحليل الخطاب الإعلامي من منظور سميولوجي فقط ، بيد أن مساهماتهم مهدت الطريق لظهور مساهمات لعدد من باحثي الإعلام والاجتماع في السبعينات والثمانينات، ربما كان من أبرزهم هارتلي Hartley الذي ركز علي تحليل النشرات الإخبارية التليفزيونية من خلال مجموعة من الأكواد والأعراف السميولوجية التي تشكل أساس الملامح اللغوية والمرئية للفقرات الإخبارية ، ويشمل تحليل الأكواد المرئية Virsual cods الطرق المختلفة لتقديم الأخبار مثل ظهور رأس مذيع الأخبار أو المراسل ..واستخدام الصور الفوتوغرافية الثابتة والتقارير المصورة ..وإطار الصور وتحركات الكاميرا ، ويفترض هذا التحليل أن الاختيارات المتاحة في نطاق الأكواد المرئية بما في ذلك الخيارات التقنية المتعلقة بعمل الكاميرا تحمل معاني اجتماعية ، وكذلك اختيار الموضوعات وتركيب الفقرات والجمل ، ودور المذيعين في توجيه الحديث ، من هنا يركز التحليل علي ربط خصائص النصوص بالأيديولوجيات الصريحة والضمنية(**Fairclough 1995, p 24).**

4- <u>تحليل المحادثة :</u>

في إطار نقد وتجديد علم الاجتماع التقليدي اقترح عالم الاجتماع الأمريكي هارولد جارفينكل Harold Garfinheld في منتصف الستينات من القرن الماضي الاهتمام بتحليل الأساليب التي يستخدمها الناس العاديين في حياتهم اليومية لتفسير أنشطتهم وجعلها مفهومة سواء لأنفسهم أو للآخرين ، وفي هذا السياق صك جارفينكل مصطلح الاثنوميثودولوجيا Ethnomethodology والذي يعني منهجية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجماعة أو بالأحرى منهجية دراسة الإدراك العام للجماعة ،وقد نهضت الاثنوميثودولوجيا علي خلفية فلسفية متنوعة منها الفينومولوجيا، وفلسفة فيتجنشين ،بالإضافة الي كثير من إتجاهات ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة ، واهتمت باللغة والمعني وبالطريقة التي يسهم بها حديثنا في خلق واقعنا الاجتماعي ،وقد ظلت الاثنوميثودولوجيا إتجاهًا مقبولاً للبحث لدي قلة من الباحثين إلا أنه قد أصبح جزءًا من قلب نظرية علم الاجتماع بفضل أعمال انتوني جيدنز **(مارشال ،2000،ص ص87-91) .**

وفي ضوء مساهمات الاثنوميثودولوجيا أسس هارفي ساكس قواعد لتحليل المحادثة أو ما يعرف أحيانا بخطاب الحياة اليومية سواء كانت أحاديث هذا الخطاب تجري بشكل رسمي أو غير رسمي ، وبغض النظر عن طبيعة الاختلاف أو الاتفاق بين أطراف المحادثة اليومية . و قد استخدم هيريتاج و جريتباتش و هاتسبي هذه القواعد لتحليل الأحاديث والحوارات في وسائل الإعلام المختلفة ، وركز هيريتاج علي الصيغ التي يستخدمها من يقومون بإجراء الأحاديث ضمن نشرات الأخبار لتلخيص ما قاله المتحدثون ، حيث يؤكدون علي نواحي معينة ويهملون جوانب أخري ،ويري هيريتاج Heritage أن هذه الصيغ عبارة عن آداة تقنية أو فنية يستخدمها الذين يجرون الأحاديث لإدارة تلك الأحاديث في نطاق القيود التي يضطرون للعمل في ظلها . ولكن توجد اختلافات في معايير وقواعد إجراء الأحاديث نتيجة التطور الزمني وإمكانيات وخصائص كل وسيلة إعلامية والأسلوب الخاص للشخص الذي يجري الحوار، ويخلص فيركلاو إلى أن تحليل المحادثة قد أضاف موردًا جديدًا إلى اللغويات الوصفية من خلال دراسة عمليات توجيه الحوار والتحكم في الموضوع وصياغة الأفكار ، لكنه تجاهل الكثير من الجوانب التي يهتم بها الوصف اللغوي حيث يركز علي التفاعل أثناء الحوار، كذلك لم يهتم تحليل المحادثة بربط خصائص اللغة والحوار بعلاقات القوة والأيديولوجيات والقيم الثقافية داخل المجتمع(**Fairclough, 1995, p 22).** ورغم هذا النقد إلا أن تحليل المحادثة قد حقق انتشارًا في السنوات الاخيرة بعد استخدامه علي نطاق واسع في دراسات تحليل المحادثات والحوارات عبر الإنترنت .

5- تحليل الخطاب في إطار مدرسة التحليل الثقافي :-

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تأسست مدرسة التحليل الثقافي العام cultural generic analysis في رحاب مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام في بريطانيا عام 1964، إلا أن أصولها ربما ترجع إلى نهاية الأربعينات ومطلع الخمسينات ،ومن أبرز أعلامها ريشارد هوجارت Richard hoggert ، وتومبسون P. Thompson ، وستيورت هال Stuart Hall، لكن ربما كانت أعمال ريموند ويليامز Raymond Williams الأكثر أهمية في تأسيس هذه المدرسة التي ربطت بين الثقافة والإعلام في إطار اهتمامها بتحليل معني الثقافة ، وتحول الثقافة إلى سلع تنتج وتوزع علي نطاق واسع في ظل المجتمع الرأسمالي ، من هنا ظهر مفهوم الثقافة الجماهيرية المادية ،وكيف أن وسائل الاتصال الجماهيري تلعب دورًا بالغ الأهمية في إنتاج وترويج الثقافة الجماهيرية وعلاقة ذلك بأسلوب الحياة والأيديولوجية والوعي في المجتمع **(Munns and Rajan,1995)**

وفي إطار اهتمامات مدرسة التحليل الثقافي بالإعلام ظهرت كثير من البحوث التي تناولت بالتحليل الخطاب الإعلامي من زاوية تأثيره في خلق أو تغييب الوعي لدي الجمهور ، وكذلك دور الخطاب الإعلامي في عملية التفاعل الاجتماعي ، وقد طور ستيوارت هال مفهوم الضمنية والتصريح والتغيير في اللغة ،وأكد أن المعني هو نتاج العملية الجدلية بين النص والقارئ في سياق اجتماعي وتاريخي معين ، وخلص إلى أن وسائل الإعلام لا تعكس الواقع وإنما تقوم بإنتاجه عبر المعاني والاختيارات الأيديولوجية التي تنتجها أو تروج لها **(Hall, 1977,pp 123-129) .**

واستفادت بحوث تحليل الخطاب في هذه المدرسة من أعمال جوفمان Goffman، ومن النظرة متعددة الوظائف للنص التي طورها هاليداي ، كما اقتحمت مجالات جديدة علي يد مونتجمري حيث تناولت الحوارات المفتوحة مع الجمهور في برامج الإذاعة والتليفزيون وعملية السرد ، والتناص بين النصوص الأدبية ونصوص البرامج والخطابات الإعلامية المختلفة ،كما قام تولسن بدراسة تطور عمليات إجراء الحديث ، وخلص إلى أن هذا التطور أدى إلى تجزئة الجماهير المستمعة و تنحية الجمهور العام(**Fairclough, 1995 , p 32**) ، ويمكن القول أن باحثي التحليل الثقافي العام استخدموا مناهج وطرق في تحليل الخطاب قريبة من تحليل المحادثة إلا أنها تختلف معها في النظرة الشاملة للمحادثة في وسائل الإعلام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في علاقتها بالمجتمع،حيث تربط بين تحليل المحادثة وبين الأيديولوجية وعمليات السيطرة في المجتمع .

6- منهج تحليل الخطاب الاجتماعي الإدراكي :

ارتبط هذا المنهج بأعمال الباحث الهولندي فان ديك في تحليل الأيديولوجية والخطاب السياسي و الخطاب الإعلامي ، والذي ربط فيه بين الجوانب النحوية والتركيبات اللغوية والسردية والإدراكية في دراسة النص ، بالإضافة إلى استخدام مناهج تحليل الخطاب ، وربما يرجع الطابع التكاملي لمنهج فان ديك إلى جذوره الأولى حيث دعا في السبعينات من القرن الماضي - وقبل تحوله إلى مجال تحليل الخطاب- إلى ضرورة اهتمام نظريات تحليل النص وتحليل الخطاب الإعلامي بالنصوص ذات الصلة وسياق النص ، كما دعا أيضا إلى الجمع بين المؤشرات الكمية والكيفية في تحليل الخطاب , من هنا توسع في تحليل عينات كبيرةً نسبياً من الأخبار والمواد الإعلامية (**Langer,1998**).

ويمكن القول أن فان ديك قد انتقل إلى مجال تحليل الخطاب في مطلع الثمانينات من القرن الماضي ، حيث اهتم بالتكوينات الخطابية لتحليل الخطابات الإعلامية مع الأخذ في الاعتبار كل المستويات والأبعاد الكلية والجزئية داخل النص ، كالتنظيم العام للنص ، والفكرة الرئيسية ، والبنية التخطيطية للنص ، والبنية الجزئية والتي تشمل الكلمات وتركيب الجمل والآليات البلاغية والدلالات اللفظية والقيم الإخبارية ... الخ . وركز فان ديك علي عملية إنتاج واستقبال النصوص وفق نموذج إدراكي أطلق عليه البنية أو البنيات الفوقية superstructures التي تسكن النصوص الإعلامية , في الوقت ذاته فإن النصوص الإعلامية تعتبر مركز تجمع ووسيلة إظهار لهذه البنيات الفوقية ، من هنا اهتم فان ديك بدراسة الخطاب السياسي والأيديولوجية المعلنة والمضمرة التي يحملها الخطاب الإعلامي بكافة أشكاله**(Fairclough,2000, pp 163-195)**

ويرى فيركلاو أن فان ديك قام بتطوير نموذج لتحليل الأخبار المنشورة في الصحف بصفة خاصة باعتباره خطاباً مكوناً من ثلاثة أبعاد هي النص ، وممارسة الخطاب ، والممارسة الاجتماعية الثقافية ، ويعتبر التركيز علي ممارسة الخطاب وسيلة لربط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التحليل النصي بالتحليل الاجتماعي - الثقافي ، ويتابع أن أبحاث فان ديك مثل الدراسات السميولوجية الاجتماعية أنجزت انتقالاً مهماً من تحليل النص- وهو مجال اهتمام اللغويات النقدية - إلى تحليل الخطاب (**Fairclough,1995, p 29**) .

وتلعب الأيديولوجية دوراً جوهرياً في المنهجية التحليلية لفان ديك ، فالأيديولوجيات من وجهة نظره هي أطر تفسيرية تقوم بتنظيم المواقف ، وتعتبر أيضاً أساساً للإدراك ، واهتم فان ديك بقضايا التمييز الإثني في الصحافة سواءً في إطار الثقافة الواحدة أو بين ثقافات متعددة ، كما ركز علي قضايا الإدراك متأثراً بمفهوم فيسك Fiske عن الإدراك ، حيث أشار إلى أن الصحفيين ومستخدمي وسائل الإعلام يملكون نماذج ذهنية بشأن العالم ، وبالتالي يكون النص في الواقع مثل جبل ثلجي من المعلومات ، وقمة هذا الجبل هي فقط التي يعبر عنها فعلياً بالكلمات والجمل ، أما الباقي فيفترض أنه مكون من الكلمات والصور المكتوبة والنماذج المعرفية لدي مستخدمي وسائل الإعلام ، وبالتالي يترك عـــادة دون الإفصـاح عنـه(**Delinger,1995**)

والشاهد أن فان ديك ركز علي الخطاب الإعلامي المنشور في الصحف أكثر من بقية وسائل الإعلام ،خاصة التليفزيون ، كما ركز علي التحليل اللغوي وأهمل عملية التناص ،أي كيفية بناء النصوص من خلال تكوينات الخطابات والأنواع الأدبية ، كذلك إهتم بممارسات صنع الأخبار واستقبالها باعتبارها عملية مستقرة تسهم في إعادة إنتاج علاقات الهيمنة وأيديولوجيات التمييز ، غير أنه لم يهتم بتنوع وعدم تجانس تلك الممارسات (**Fairclough, 1995 , p 30**) . إلا أن إسهامه المهم تمثل في تحديده لمفهوم وأبعاد التحليل النقدي للخطاب وعلاقاته بالدراسات اللغوية وبالنظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، وإقراره بتعدد مجالاته وتنوعها ، ومن ثم ضرورة استخدام مناهج وأطر نظرية تكاملية . (**Van Dijk,1998**)

7- <u>المدرسة الألمانية في تحليل الخطاب الإعلامي :</u>

ظهرت في إطار الجامعات الألمانية مدرستان نقديتان في تحليل الخطاب الإعلامي ، ربما كان أهم ما يميزهما عن المدارس الفرنسية والبريطانية اهتمامهما باللغة والبلاغة وبالإستراتيجيات الجدلية داخل الخطاب، وتعرف المدرسة الأولى بمدرسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ديوسبرج The Duisberg School وارتبطت بسيجموند ييجر Siegfried Yager الذي تأثر بأعمال ميشيل فوكو وبمدرسة فرانكفورت وباللغويات النقدية ، وقد أسس منهجه في التسعينات من القرن الماضي علي نقد لكل من البحث اللغوي التقليدي والبحث الاجتماعي ، فاللغويون - كما يقول - يركزون بحثهم بصفة رئيسية علي النواحي الشكلية للغة دون الانتباه إلى مضمون النصوص والممارسة الخطابية والمحيط الاجتماعي والثقافي للنصوص، كما انتقد البحوث الاجتماعية الكيفية لافتقارها إلى نظرية أو طريقة بحث محددة لتأويل النصوص ،ثم اعتمد ييجر علي مقولات المدرسة الثقافية التاريخية التي أسسها عالم النفس الاجتماعي فيجوتسكي في تطوير نظرية تعيد تعريف العلاقة بين الفعل acting والتفكير والاتصال ، والعلاقة بين الفرد والمجتمع ، وأكد ييجر أن النصوص ليست شيئاً فردياً فقط ، وإنما تمثل دائماً شيئاً اجتماعياً ، فالنصوص أجزاء من خطابات فوق فردية ،وكما ذهب ميشيل فوكو يري ييجر أن أجزاء الخطاب سواء كانت نصوصاً أو أجزاء من نصوص يمكن أن تشكل سلسلة خطابية يمكن وضعها علي مستوي خطابي واحد أو عدة مستويات خطابية – علي سبيل المثال في السياسة ، والتعليم ، والإعلام – وبالتالي تمثل السلاسل الخطابية تدفقا للأجزاء الخطابية عن نفس الموضوع .

ويري ييجر أن تحليل النص هو أول تحليل للخطاب إذا اعتبرنا أن النصوص هي أجزاء من خطاب تمتد جذوره اجتماعيا وتاريخيا ، كما يؤكد أن تحليل الخطاب يهدف إلى فك الاشتباك بين نصوص وخطابات معينة لأن النصوص والخطابات المختلفة تتداخل وتخلق توتراً خطابياً ، ويقترح ييجر التركيز علي تحليل العقد الخطابية أو النصوص المركزية في سلسلة خطابية لأن هذه النصوص سابقة زمنياً في السلسلة الخطابية أو تتناص مع خطابات أخرى . ويؤكد ييجر أن إجراءات تحليل الخطاب يجب أن تظل كيفية ، كما ينفي وجود وصفة أو إجراءات روتينية يمكن تطبيقها عالمياً عند تحليل الخطاب، لكن يجب أن يصمم تحليل الخطاب لكي يكون متفقاً مع اهتمامات البحث وأهدافه ومضمون الخطاب محل التحليل ، في ضوء ذلك يقترح ييجر أن يشمل تحليل الخطاب تحليل البنية الكلية للخطاب ، وتحليل السياق اللفظي ، وغير اللفظي ، والتحليل اللغوي علي المستوي الجزئي للنص ، وأخيراً التحليل النهائي للرسالة والجمهور المستهدف والإطار الأيديولوجي والاجتماعي للخطاب والملامح اللغوية لفهم الخطاب والآثار المقصودة (**Langer,1998**).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما المدرسة الألمانية الثانية فتعرف بمدرسة فيينا ، وترتبط بأعمال أستاذة اللغويات التطبيقية روث فوداك Ruth Wodak التي تعتبر أشهر من يمارس تحليل الخطاب علي المستوي العالمي في الدول الناطقة بالألمانية ، وتقيم فوداك في فيينا وتكتب أبحاثها بالألمانية والإنجليزية والفرنسية ، ويعتمد منهجها لتحليل الخطاب علي الأبحاث اللغوية الاجتماعية ، وأعمال مدرسة فرانكفورت وميشيل فوكو ، بالإضافة إلى الدراسات الثقافية لستيوارت هال ، ونظرية رأس المال الرمزي لعالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو ، كما استفادت فوداك من أعمال عالم اللغة الألماني يوتس ماس Utz maas- أثرت أعماله أيضاً في مدرسة ديوسبرج - الذي يعرف الخطابات بأنها أشكال لغوية ترتبط بالممارسة الاجتماعية ويجب بحثها من نواحي التاريخ وعلم الاجتماع ، مع الاهتمام بالبعد البلاغي والتأويلي . أما فوداك فتميز بين ثلاثة مستويات من التحليل هي : المضمون والإستراتيجيات الجدلية والملامح اللغوية ، كما تؤكد على أهمية البحث في تاريخ الخطابات من خلال منهج متعدد المستويات ، ولذلك تجمع أعمال مدرسة فيينا بين التحليل التاريخي والكمي علي مستوي الخطاب والممارسة الاجتماعية ، وبين التحليل الكيفي علي المستوي الجزئي النصي ، **(Langer , 1998 - Delinger,1995)**

ولعل أهم ما يميز أعمال روث فوداك ومدرسة فيينا هو الإهتمام بالبعد التاريخي للخطاب وبالإستراتيجيات الجدلية والملامح اللغوية ، لكن الطابع العام لتلك المدرسة يقترب من حقل اللغويات أكثر من حقل تحليل الخطاب الإعلامي ،حيث تمنح فوداك الأولوية للتحليل اللغوي مع الإعتراف بأهمية النواحي التاريخية والاجتماعية ، ذلك أن التأكيد على كل من بنية نصوص الإعلام وسياقها الاجتماعي يمكن أن يساعد الباحثين النقديين علي تغيير طبيعة الرسائل الأيديولوجية أو الكشف عن الإعتبارات التي تؤثر في بنية هذه الرسائل **(Wodak, 1999,pp, 185-193) .**

8- <u>التحليل النقدي للخطاب لنورمان فيركلاو:-</u>

من حقل الدراسات اللغوية انتقل عالم اللغة الإنجليزي نورمان فيركلاو Norman Fairclough إلى تطوير نموذج للتحليل النقدي لكافة أشكال الخطاب بما فيها الخطاب الإعلامي ، ثم قام مؤخرًا بتوسيع مجال عمل نموذجه التحليلي بحيث يشمل كافة مجالات البحوث الاجتماعية ، فالتحليل النقدي للخطاب هو تحليل للعلاقات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجدلية بين الخطاب - والذي لا يشمل اللغة فقط بل والسميولوجيا والصور المرئية - وكل عناصر الممارسة الاجتماعية ، ومع ذلك يؤكد فيركلاو أن التحليل النقدي للخطاب يهدف إلى توضيح كيف أن التغييرات في استخدام اللغة تعكس التغييرات الإجتماعية – الإقتصادية والتي ترتبط بعلاقات القوة والهيمنة في المجتمع ، لذلك يدعو فيركلاو علماء الاجتماع إلى تجديد أفكارهم ومناهجهم وأدواتهم البحثية لدراسة الخطاب **(Fairclough , 2000)**

وبغض النظر عن نتائج تلك الدعوة ،تكتفي الدراسة الحالية بعرض ومناقشة أعمال فيركلاو في علاقتها بالخطاب الإعلامي ، حيث يمكن القول بأن فيركلاو تأثر بشكل واضح باللغويات النقدية وبأعمال ميشيل فوكو وأعمال غرامشي عن الهيمنة الإيديولوجية ، إضافة إلى تأثره الواضح بعالم الإجتماع الفرنسي بيير بورديو ،ويتفق فيركلاو مع علماء اللغة جزئيًا في تعريفه للخطاب ، ثم يؤكد اختلافه معهم ، فالخطاب هو اللغة المستخدمة لتمثيل ممارسة إجتماعية من وجهة نظر معينة ، والخطابات تشكل وتعيد إنتاج الهويات الإجتماعية والعلاقات الإجتماعية وتمثل نظم المعرفة لمستخدم اللغة ، ويعتبر كل خطاب جزءًا من نظام خطابي داخل مؤسسة معينة أو مساحة معينة من المجتمع ..ويضع التحليل النقدي للخطاب تصورًا للممارسات الخطابية لمجتمع معين – أي الطرق المعتادة لإستخدام اللغة من هذا المجتمع – باعتبارها شبكات معينة ، أطلق عليها أنظمه الخطاب ، ويتكون نظام الخطاب لمؤسسة إجتماعية أو مجال اجتماعي معين من كافة الأنماط والممارسات الخطابية المستخدمة في تلك المؤسسة أو ذلك المجال ..كذلك تعتبر نظم الخطاب مجالاً وبؤرة للصراع والنزاع الإجتماعي وأحد مجالات الهيمنة الثقافية .

ووفقا لنموذج فيركلاو فإن تحليل أي نمط معين من الخطابات ، بما في ذلك الخطاب الإعلامي يتضمن تناوب التركيز علي جانبين مترابطين و متكاملين هما : الأحداث الإتصالية ، ونظام الخطاب ، ويشمل الجانب الأول علي تحليل للعلاقات القائمة بين ثلاثة أبعاد أو ملامح للحدث الإتصالي هي:

- نص : قد يكون مكتوبًا أو شفويًا ،والنصوص الشفوية قد تكون مذاعة فقط أو مذاعة ومرئية كما في التليفزيون ، وفي هذا المستوي يجب تحليل المعجمية ، مفردات اللغة ، ودلالات الألفاظ ،والنحو وصوتيات النص ونظام كتابته ، وكذلك التماسك المنطقي ، والتركيبات النصية والوظائف المختلفة لكل جملة ،وسيميولوجيا النص

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من كافة النواحي ، وما ينتجه كل ذلك من معاني متعددة ومختلفة ، سواء كانت معلنه أو مضمرة .

- ممارسة الخطاب: يقصد به تحليل عمليات إنتاج النص واستهلاكه ، والنواحي النفسية والإدراكية الخاصة بكيفية توصل الأفراد إلى تأويلات معينه أو ما يعرف بالعمليات التأويلية .إضافة الي تحليل التناص والذي يهدف إلى الكشف عن كيفية تشكل واستخدام النصوص وتشابك الأنواع الأدبية والخطابات المختلفة الممزوجة في النص ، والتي قد تتضمن استخدامًا تقليديا لأنماط موجودة بالفعل أو استخدامًا إبداعيًا أو مزجًا بينهم .

- ممارسة إجتماعية ثقافية للتيارات الإجتماعية والثقافية السائدة والتي يشكل الحدث الإتصالي جزءًا منها ، ويتناول التحليل هنا مستويات مختلفة ،منها السياق المباشر للحدث أو السياق الأوسع نطاقا للممارسات المؤسسية ، ويمكن تناول الكثير من جوانب الممارسة الإجتماعية الثقافية لعل أهمها الجانب الاقتصادي ، والسياسي المتعلق بقضايا القوة والأيديولوجية ، علاوة علي الجانب الثقافي المرتبط بالقيم والهوية **(Fairclough, 1995)**

ورغم أهمية نموذج فيركلاو إلا أنه يعتبر نوعًا من التفكير النظري المجرد حيث لم يختبر علي نحو جاد ، ولم يستخدمه سوي عدد محدود من البحوث والدراسات ، وهذا الوضع يختلف عن منهجية ميشيل فوكو في تحليل الخطاب والتي ربما اكتسبت طابعًا عمليًا تطبيقيًا عميقاً وشاملاً ساعد في تطوير وتجديد مكوناتها النظرية .

ملاحظات حول تحليل الخطاب الاعلامي :-

لعبت مدارس الخطاب السابقة دورًا مهمًا في التقريب بين تحليل الخطاب من ناحية ، ودراسة الإعلام من ناحية ثانية ، لكنها لم تنجح في بلورة أطر نظرية واضحة والاتفاق على إجراءات منهجية محددة لعملية تحليل الخطاب الإعلامي ، علي الرغم من تبلور تيار يدعو إلي التأليف بينها أو استعارة بعض المفاهيم التحليلية واستخدامها، أو إعادة تعريفها واستخدامها في سياقات جديدة . ويبدو أن غياب الاتفاق بين مدارس تحليل الخطاب يرجع الي اختلاف وتباين التخصصات ومجالات الدراسة والرؤى الفكرية والمعرفية للمنتمين لهذه المدارس ،أوربما أصبح الاختلاف وعدم الاتفاق أحد مظاهر عصر ما بعد البنيوية أو عصر ما بعد الحداثة الذي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نعيشه، والذي يؤكد إيهاب حسن على أن اللاحسم والذاتية هما أبرز سمتين لهذا العصر **(بيتر بروكر ، 1995،ص ص29-31)** ، ومع ذلك يمكن رصد أهم نقاط الاختلاف والاتفاق بين مدارس تحليل الخطاب ممثلة في :-

1- باستثناء الدراسات اللغوية التقليدية التي استخدمت مفهوم الخطاب ، يلاحظ الباحث حضورًا مؤثرًا وقويًا لمنهجية ميشيل فوكو ومفاهيمه الأساسية في تحليل الخطاب الإعلامى، مع وجود اختلاف في درجة اعتماد كل مدرسة على منهجية فوكو ، في هذا الإطار يمكن القول بأن مدارس تحليل الخطاب الألمانية أكثر تأثرًا بمنهجية ميشيل فوكو ، مقارنة بأعمال فيركلاو وفان ديك ، وقد نجح الأخير في دمج وتطوير البعد الإدراكي في عملية تحليل الخطاب ، بينما لفت فيركلاو الانتباه إلى أهمية تحليل ممارسات إنتاج النصوص الإعلامية واستهلاكها ، أي استقبال الجمهور وتفاعله مع الخطاب الإعلامي ، فضلاً عن اهتمامه بعملية بناء النصوص والخطابات الإعلامية .

2- إن التوجه النقدي في تحليل الخطاب -والذي أصبح أحد أهم السمات الهيكلية لمدارس تحليل الخطاب – ارتبط بالتأثر الواضح بمدرسة فرانكفورت ومدرسة التحليل الثقافي وأعمال ميشيل فوكو، وأخيرًا أعمال عالم الإجتماع الفرنسي بيير بورديو، وقد تجسد هذا التوجه النقدي في التركيز علي دراسة علاقات السلطة والهيمنة داخل المجتمع والأيديولوجية ، وكذلك اختيار موضوعات للدراسة التطبيقية ذات طابع اجتماعي وسياسي مؤثر ، مثل قضايا التمييز العنصري والتمييز ضد المرأة وضد الأقليات والفئات المهمشة في المجتمع .

3- تلعب الأيديولوجية دورًا مهمًا في التحليل النقدي للخطاب ، فاللغة اختيارات أيديولوجية ، كما أن الخطاب ممارسة ذات طابع أيديولوجي من حيث التكوين والتأثير ، مع ملاحظة أن مدارس تحليل الخطاب استخدمت مفهومًا للأيديولوجية والسيطرة الأيديولوجية أقرب ما يكون للغرامشية الجديدة ، حيث يتفق فان ديك وروث فوداك و فيركلاو علي أن ممارسة القوة في المجتمعات الديمقراطية الحديثة لم تعد تعتمد علي الإكراه بالدرجة الأولى بل علي الإقناع ، أي أصبحت عملية أيديولوجية بالمعني الغرامشي ، ويري فان ديك أن الأيديولوجية هي أطر تفسيرية كما تعتبر أساساً لإدراك المواقف الاجتماعية (**Delinger,1995**)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- رغم أهمية الأعمال التحليلية للخطاب الإعلامي التي قدمت في إطار مدارس تحليل الخطاب إلا أنها تظل قليلة نسبياً من حيث الكم والنوع ، وبالتالي فإن كثيرًا من المفاهيم التحليلية التي استخدمت لم تختبر علي نطاق واسع ، خاصة المفاهيم التي اعتمد عليها فيركلاو والتي لم يستخدمها إلا في تحليل عينات محدودة ، اختارها بدون توضيح لأسباب ومبررات هذا الاختيار ، من جانب آخر فإن أغلب دراسات تحليل الخطاب الإعلامي ركزت علي خطاب الصحافة المنشورة ، ولم تمنح الخطاب الإعلامي في الإذاعة و التليفزيون اهتماماً مماثلاً ، ربما لصعوبات تتعلق باختيار العينات ، وتحليل الصوت و الصور.

5- يمكن القول بأن مدراس تحليل الخطاب اعتمدت علي عينات صغيرة من المواد الإعلامية ، خاصة المواد المنشورة في الصحف ،واعتبرت نفسها نوعًا من التحليل الكيفي ، ومن ثم لم تهتم بالمؤشرات الكمية **(Curtin, 1996)** ، بل ركزت علي الفهم والتأويل ، انطلاقا من فكرة مهمة عبر عنها ييجر- استنادًا إلى ميشيل فوكو – وتدعو إلى ممارسة التحليل وفهم الخطاب من خلال التعرف علي القواعد والإجراءات الروتينية الخطابية في كل جزء من الخطاب ، وبالتالي يمكن حل مشكلة التعميم النمطي عن طريق الاستمرار في تحليل الأجزاء المختلفة من الخطاب (العقد الخطابية والنصوص المركزية) حتى لا يوجد شيء يمكن العثور عليه بواسطة هذا التحليل ،ويؤكد ييجر أن تجاربه الذاتية في مجال الدراسات التجريبية تشير إلى أنه بعد تحليل عدد قليل من أجزاء الخطاب لا توجد معلومات أو ملاحظات جديدة **(Langer, 1998)**.

لكن ربما كان فان ديك الوحيد الذي خرج في محاولاته البحثية التطبيقية عن التوجه السابق ، وقام باختيار عينات كبيرة نسبية ،ركز فيها على الأفكار العامة والبنيات الكلية للنصوص، وحاول من خلال تحليلها التوصل إلى مؤشرات كمية وكيفية ، ويري الباحث أن محاولات فان ديك اقرب إلى المناهج الإجرائية التقليدية كما أنها حالت دون التعمق في دراسة النصوص الإعلامية وسبر غور الخطاب الإعلامي الذي يختلف عن بقية أنواع الخطابات في المجتمع من عدة أوجه ،لعل أهمها: عمليات وظروف الإنتاج ، والتوزيع ، وعمليات الاستقبال أو التلقي ، والتي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتوقف بدورها على طبيعة الخطاب الإعلامي وهل هو مقروء أم مسموع أم مرئي **(Fairclough, 1995)**

6- مهما يكن من أمر الاتفاقات أو الاختلافات بين مدارس تحليل الخطاب فإن منهجية تحليل الخطاب الإعلامي بات تقليدًا علميًا معترفاً به ومتناميًا ، ويكتسب كل يوم أرض جديدة رغم عدم وضوح مفهوم الخطاب وتضارب واختلاف المفاهيم والأطر النظرية الخاصة بتحليل الخطاب، لكنه وبشكل عام يعتمد علي عدة علوم اجتماعية كما يدمج بين المساهمات الحديثة والنقدية في مجال اللغويات واللغويات التطبيقية والنقد الأدبى ، كما يزاوج بين التحليل اللغوي والسميولوجي ،ويستفيد من الاتجاهات الحديثة في التأويل ، والتيارات النقدية في علم الاجتماع والانثربولوجى ، والدراسات الثقافية ، وعلم النفس الاجتماعي .

من جانب آخر يمنح منهج تحليل الخطاب الخطاب الإعلامي أهمية خاصة ، وفي الوقت نفسه يراعي خصوصيته من زاوية تعدد أشكاله ومضامينه سواء كان مكتوبًا أو مذاعًا أو مرئيًا ، بالإضافة إلى علاقته الجدلية بالمجتمع ، فهو لا يعكس الواقع أو علاقات القوة والهيمنة في المجتمع فقط ، وإنما يساهم في بنائها عبر عمليات التناص بين الخطابات والتفاوض بينها ، ولاسيما التفاوض بين منتج الخطاب والجمهور الذي يستقبله ، كما يلعب الخطاب الإعلامي دورًا مؤثرًا في بناء العلاقات الإجتماعية وتحديد الهويات الإجتماعية والثقافية ، فهو عملية مستمرة ومعقدة تتفاعل فيها وعبرها قوي ومتغيرات محلية ودولية تعكس أوضاع المجتمع وثقافته والمرحلة التاريخية التي يعيشها .

تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية :-

وقع إختيار الباحث علي تسع دراسات مصرية كنموذج للدراسات العربية التي استخدمت منهجية تحليل الخطاب في مجال الإعلام ، كان من بينها أربع رسائل للماجستير ،وخمس رسائل للدكتوراه ،هي :-

1- إنقرائية الخبر الصحفي اللغوية : بالتطبيق علي الخبر الصحفي في جرائد الأهرام والجمهورية خلال عام 1978،رسالة ماجستير، إعداد :محمود إبراهيم خليل 1989،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- تطور فكرة القومية العربية في الصحافة المصرية 1924- 1952، رسالة ماجستير ، إعداد :محمد علي شومان،1990

3- التطور الأسلوبي والدلالي للغة الصحافة اليومية في الفترة من 1960-1980،رسالة دكتوراه ،إعداد : محمود إبراهيم خليل ،1993

4- تأثير السياسة الخارجية للدولة في المعالجة الصحفية للشئون الدولية ، دراسة مقارنة للصحافة المصرية خلال الفترة من 1990-1992، رسالة ماجستير ، إعداد : هشام عطية عبد المقصود محمد ،1995

5- علاقة النخب السياسية المصرية بالصحافة وتأثيرها في أنماط الأداء الصحفي في التسعينات ، رسالة دكتوراه ،إعداد :هشام عطية عبد المقصود محمد ، 1998

6- الخطاب الديني في الصحف المصرية خلال الفترة ما بين عامي 1882-1914 ، رسالة دكتوراه ، إعداد : محمد احمد يونس ،2000

7- التغطية الصحفية الغربية لشئون العالم الإسلامي خلال عقد التسعينات ،رسالة دكتوراه ، إعداد : محمد حسام الدين إسماعيل ،2001

8- صورة مصر في الخطاب الصحفي لمراسلي الصحف ووكالات الأنباء العربية العاملة في مصر خلال الفترة من 1990-1996، إعداد: وائل محمد عارف قنديل ، رسالة دكتوراه ،2002

9- موقف الصحافة المصرية من الثورة العرابية في الفترة من 1877-1882، إعداد : محمد عبد الحفيظ الباز ، رسالة ماجستير ، 2003

ومن خلال قراءة وتحليل الرسائل السابقة، فضلاً عن خبرة الباحث الشخصية ومعايشته عن قرب لظهور تلك الدراسات وغيرها ، تتكشف مجموعة من المعلومات والحقائق لعل أهمها :-

1- ترجع بداية ظهور واستخدام مفهوم الخطاب ومناهج تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية المصرية إلى نهاية الثمانينيات من القرن العشرين ، وهي بداية متأخرة زمنيا مقارنة بالدراسات الإعلامية الأوربية التي استخدمت تحليل الخطاب ، لكن يمكن القول أن هذا التأخير يرجع إلى هيمنة مناهج وأدوات التحليل الكمي ، واعتبارها داخل المؤسسة التعليمية التجسيد الوحيد للبحث العلمي في الدراسات الإعلامية التي تتناول تحليل النصوص والرسائل الإعلامية ،من هنا واجهت المحاولات الأولى لاستخدام تحليل الخطاب مقاومة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عنيفة وانتقادات واسعة ، حيث اعتبرت نوعا من التمرد أو الخروج عن التقاليد العلمية السائدة التي تنتمي إلى الوضعية والسلوكية بمدارسها المختلفة ونزعتها إلى التعامل الكمي والإحصائي مع النصوص والرسائل العلمية معزولة عن سياقها الاجتماعي والسياسي والتاريخي ، أي التعامل مع النص بمعزل عن شروط إنتاجه وتداوله واستهلاكه ، كما نظر البعض إلى محاولات استخدام تحليل الخطاب بوصفه نوعًا من الرغبة لدي الباحثين الشباب في الاختلاف أو تقليد الجديد دون فهم أودراية كاملة بمناهج تحليل الخطاب وخلفياته الفلسفية والمعرفية.

2- ارتبط استخدام تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية بجيل جديد من الباحثين الشبان الذين حاولوا تقديم إضافة جديد تتجاوز ما هو سائد في حقل تحليل النصوص والرسائل الإعلامية كما تعاملوا معها بوصفها خطاباً . ولاشك أن هذا الجيل استفاد من تشجيع أساتذة كبار كانت لهم انتقادات واسعة لتحليل المضمون الكمي ودعوا لتجاوزه والبحث عن أدوات ومناهج تحليل جديده ، في مقدمتهم خليل صابات ومختار التهامي ،ولعل الكتاب الجماعي للأساتذة عواطف عبد الرحمن ونادية سالم وليلي عبد المجيد قد عكس هذه الدعوة وجسدها ، وقدم وبشكل عملي أول دعوة وممارسة عملية لتجاوز الأدوات والمناهج السائدة **.(عبد الرحمن وآخرون ،1984)** لاسيما وأن الثلاثة كن قد مارسن تحليل المضمون الكمي ثم انتقدنه بعد أن اكتشفن العديد من نقاط ضعفه وجوانب قصوره ، وقد اهتمت عواطف عبد الرحمن بالدعوة إلى إعادة الاعتبار للتحليل الكيفي والانفتاح علي مساهمات المدارس الفرنسية والأوربية في تحليل المضمون وعدم الاكتفاء بالمدرسة الكمية التقليدية التي وضع أساسها بيرلسون .

3- أن معظم الدراسات الإعلامية التي استخدمت تحليل الخطاب تناولت نصوص أو مضامين صحفية ، أي ما يعرف بخطاب الصحافة المطبوعة بينما أهملت تحليل الخطاب الإعلامي المسموع والمرئي في الإذاعة والتليفزيون ، وكذلك أهملت الخطاب الإعلاني(الإشهاري) والذي يجمع بين النص الصورة والنص المقروء . وذلك رغم التطور الكبير في تحليل خطاب الصورة والذي أحرزته مدارس تحليل الخطاب الأوربية ، و يمكن تفسير ذلك في ضوء صعوبات عملية تحليل الخطاب المسموع والمرئي ،وعدم توافر أطر نظرية وتقاليد بحثية راسخة في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجال تحليل الخطاب تستطيع أن تتعامل مع هذه الصعوبات ، من هنا ربما كان البدء بتحليل الخطاب الصحفي المطبوع والمقروء في مصر أسهل على الباحثين الذين يقتحمون مجالاً جديدًا ، في هذا السياق تعتمد عينة الدراسة الحالية علي دراسات تحليل الخطاب الصحفي فقط ، حيث لم يجد الباحث رسائل علمية في كلية الإعلام تناولت تحليل الخطاب المسموع والمرئي وتنطبق عليها شروط اختيار عينة الدراسة .

4- رغم إقتصار الدراسات التي استخدمت تحليل الخطاب علي الخطاب الصحفي ، إلا أنه يوجد تعدد وتنوع في موضوعات ومجالات هذه الدراسات ، ولعل عينة الدراسة تكشف عن هذا التنوع ، فقد ركزت أربع دراسات على قضايا مهنية تتعلق بالأداء الصحفي (**خليل** ، **1989**، **1993**)،(**محمد**، **1995**)،(**قنديل**، **2002**)، بينما تناولت دراستان موضوعات ذات طابع فكري تاريخي ، وتتعلق تحديدًا بتاريخ الأيديولوجية ،(**شومان** ،**1990**، **يونس**، **2000**) حيث اختصت الأولى بالخطاب القومي العربي في الصحافة المصرية ، بينما اختصت الثانية بالخطاب الديني في الصحافة المصرية ،وتناولت إحدى الدراسات تأثير السياسة الخارجية للدولة في المعالجة الصحفية للشئون الدولية (**محمد**، **1995**) بينما اهتمت دراسة محمد حسام ومن منظور عبر ثقافي مقارن علي التغطية الصحفية الغربية لشئون العالم الإسلامي في التسعينات (**إسماعيل**، **2001**) ، وقد شاركه في المنظور نفسه وائل قنديل (**قنديل** ،**2002**)، أما دراسة الباز فقد اتخذت موضوعاً تاريخياً يتعلق بموقف الصحافة المصرية من الثورة العرابية 1877-1882(**الباز** ،**2003**) .

وبمقارنة موضوعات الدراسات العربية مع التراث العلمي في مجال تحليل الخطاب الصحفي يجد الباحث أن ثمة اتفاق واضح بينها، فتاريخ الفكر والأيديولوجيا ، ولغة الصحافة وكذلك الصور المتبادلة بين الشعوب كلها موضوعات مشتركة تناولتها الدراسات الأوربية والعربية ، وذلك رغم قصور مستوي التحليل ومنهجيته في الدراسات العربية ، واعتماده علي حجم كبير من العينات .

5- ضعف ومحدودية الأطر النظرية والمنهجية التي اعتمدت عليها الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب ، إذ خلت تلك الدراسات من العرض التحليلي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشامل لمدارس تحليل الخطاب الإعلامي ، وغابت بعض المدارس عن دائرة اهتمام الدراسات العربية ، فعلي سبيل المثال لم تظهر مدارس تحليل المحادثة ، والتحليل السميولوجي ، كما لم تظهر المساهمات الألمانية وكذلك مساهمات الباحثين في الدول الاسكندنافية .

من جانب آخر فإن تبني بعض مدارس وأدوات تحليل الخطاب جاء منفصلاً عن الفلسفات أو الرؤى الكلية التي ظهرت تلك المدارس في إطارها ، أي أن الخلفية المعرفية تكاد تكون غائبة أو غير واضحة ، ربما باستثناء دراستي محمود خليل للماجستير والدكتوراه حيث اعتمد فيهما علي اللغويات واللغويات النقدية ،و استخدم على وجه التحديد التحليل الأسلوبي والتحليل الدلالي مع ربطهما بالسياق المجتمعي (**خليل، 1989 – 1993**) ورغم أهمية دراستي خليل إلا أنهما لم تتجاوزا حدود التحليل اللغوي وعيوبه التي تعرضت لها هذه الدراسة في موضع آخر .

أما دراسات شومان وهشام عطية ومحمد حسام الدين فقد عرضت لبعض مدارس تحليل الخطاب لكنها لم توضح بشكل كاف الخلفية المعرفية لهذه المدارس ، كما لم تقدم إطارا نظرياً متماسكاً بل إن الدراسات الثلاث ربما تكون قد قدمت وبدرجات متباينة خلطًا مفاهيميًا ونظريًا ، فدراسة شومان التي حاول فيها- ولأول مرة - تجاوز مدارس التحليل اللغوي والدلالي للخطاب الصحفي ، جمعت بدون وعي معرفي ومنهجي بين بنيوية ميشيل فوكو وتأويلية بول ريكور ومساهمات دومينيك ما نجينو Maingueneau، رغم ما بينهم من خلافات ، وقد أدى هذا الخلط المعرفي والمنهجي إلى اعتماد الدراسة نوعاً من تحليل الخطاب يجمع بين المؤشرات الكمية والكيفية **(شومان، 1990)** أما دراستي هشام عطية للماجستير والدكتوراه فقد قدمتا تحليلاً أدق وأعمق من دراسة شومان غير أنهما وقعتا في نفس الخلط النظري و المفاهيمي ، (**محمد 1995-1998**)، ونجح محمد حسام في الاطلاع على عدة مدارس لتحليل الخطاب، كما كان له فضل عرض أعمال فيركلاو غير أنه لم يستفد من هذا العرض في بلورة إطار نظري أو تطوير أدواته التحليلية (**إسماعيل 2001)**

والمفارقة أن الدراسات الأحدث وقعت في نفس الأخطاء السابقة ، كما لم تقدم جديدًا على صعيد بلورة مفاهيم أو أطر نظرية لتحليل الخطاب الصحفي ، بل اعتمدت في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغالب علي الدراسات العربية السابقة ، ومن ثم نقلت الكثير من جوانب قصورها (**يونس وقنديل والباز)**، وتجدر الإشارة إلى أن محاولة يونس إعادة تعريف الخطاب بطريقة انتقائية وعلى أسس لغوية تراثية استنادًا إلى أعمال سيف الدين الأمدي ، والإمام الجويني ، ثم تمييزه بين الخطاب بالمفهوم الشرعي والخطاب الديني ، لكنه اختزل الأخير بطريقة تعسفية في مجموعة المقولات والتصورات والرؤى التي تطرحها الجماعة الصحفية إزاء قضايا المجتمع مستندة إلى الدين الإسلامي بشكل مباشر أو غير مباشر (**يونس , 2000، ص ص4-7)** أي انه تجاهل حقيقة وجود خطاب صحفي للأقباط واليهود المصريين ، واختزل الخطاب الديني في مصر في الخطاب الإسلامي فقط .

6- تعكس مدارس تحليل الخطاب في العالم حالة من عدم الاتفاق والجدل حول مفهوم الخطاب ، وهل هو نظرية أو منهج ، كما تعكس تعددًا في استخدام أدوات وطرق تحليل الخطاب ، وحدود هذا التحليل، ومثل هذه الحالة لا تعكسها الدراسات العربية التي استخدمت تحليل الخطاب ، فثمة اختلافات ولكن من دون جدل أو نقاش علمي ، كما أن أغلب هذه الاختلافات تفتقر إلى الأسس النظرية والمعرفية فضلاً عن محدودية الممارسات والتطبيقات العملية التي يمكن الاعتماد عليها في إثراء الجدل والنقاش العلمي .وربما يمكن تفسير ذلك في أن مستوى ونوع الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي لم ترتبط بوضوح بمدارس تحليل الخطاب الأوربية ، ولم تتواصل معها أو حتى تنقل عنها بوضوح ، بمعني أنها كانت مجرد ظلال غير محددة الأبعاد لبعض تلك المدارس .

7- أن الضعف النظري والمنهجي في الدراسات العربية التي شكلت عينة هذه الدراسة يتجسد في عدة مستويات تفصيلية تتعلق ب :-

- الاعتماد على عدد محدود من المصادر والمراجع التي تكررت في الدراسات العربية وتناقلتها إما عن لغاتها الأصلية أو مترجمة ، بالإضافة إلى النقل والاقتباس عن دراسات تحليل الخطاب الإعلامي في صورة اقرب ما تكون إلى إعادة إنتاج الشيء نفسه بكل إيجابياته وسلبياته .
- باستثناء دراستي خليل اللتان اعتمدتا علي نظريات التحليل اللغوي مع استخدام التحليل الأسلوبي والدلالي ، استخدمت عينة الدراسات العربية في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحليل الخطاب مسار البرهنة ، وتحليل القوي الفاعلة ، وتحليل الأطر المرجعية ، وقد تكرر استخدام هذه الأدوات الثلاث- كلها أو بعضها - بصورة نمطية في الإجراءات المنهجية للدراسات التي استخدمت تحليل الخطاب ، مع اختلاف في مستوى وعمق التحليل بحسب جدية الباحث وموضوع بحثه وحجم عينة النصوص والرسائل الإعلامية التي اختارها ،ويمكن القول أن هذه الدراسات قد نقلت الأدوات الثلاث عن أطروحة مارلين نصر حول تحليل الخطاب الناصري(**نصر , 1983**) بدون اطلاع أو معرفة بأسسها المعرفية والنظرية وارتباطها العميق بالدراسات اللغوية واللغويات النقدية والحجاجية التي اعتمدت عليها ،ثم قام شومان وهشام عطية بتطوير وتوضيح إجراءات مسار البرهنة ، بينما نقلت بقية الدراسات عنهما وعن مارلين نصر بدون تطوير أو تأصيل نظري ، خاصة فيما يختص بتحليل القوي الفاعلة وتحليل الأطر المرجعية .

- علي عكس ما هو سائد في دراسات تحليل الخطاب الإعلامي في العالم استخدمت الدراسات العربية عينات كبيرة ومتنوعة من النصوص الصحفية الأمر الذي يفسر حجمها الكبير حتى أن بعضها تجاوز الألف صفحة ، ومع ذلك لم تقدم تحليلا معمقا ، وعلي سبيل المثال استخدم شومان ويونس كمية هائلة من النصوص الصحفية عبر عشرات من السنين ، وشملت عدة صحف , بل وأحيانا عشرات الصحف والمجلات مما أضعف من مستوي التحليل ونوعيته ، وحال بينه وبين التعمق في فهم وتحليل الخطاب (**شومان ,1990 , – يونس , 2000**) . أما دراسة محمد حسام التي غطت ثلاثة أشهر فقط (**اسماعيل , 2001**) ، وكذلك الدراسات التي اقتصرت علي سنة واحدة (**خليل ,1989**)، أو سنتين (**محمد, 1995**) ، أو أقل من ست إلى سبع سنوات (**قنديل ،2002- الباز, 2003**)، فقد اعتمدت علي عينات كبيرة من الصحف ، وبالتالي لم تنج من السطحية في التحليل أو التشتت أحيانًا ، وإن كانت أفضل حالاً من دراستي شومان ويونس ، حيث توصل أغلبها إلى نتائج مهمة ساعدت على سبر أغوار الخطاب الصحفي وفهم آلياته وعلاقاته بسياقه التاريخي وفضائه المجتمعي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- جمعت خمس دراسات من إجمالي عينة التحليل بين تحليل الخطاب وبين تحليل المضمون الكمي التقليدي بطريقة تعسفية وشكلية ، وبدون إدراك للتناقض النظري والمعرفي بين تحليل الخطاب والتحليل الكمي ، ومن ثم قدمت مبررات نظرية أو منهجية ضعيفة وغير مفهومة لهذا الجمع التعسفي ، مما قاد إلى نتائج متناقضة أو غير مقنعة ، ولعل دراسة شومان تكشف عن هذا الخلط فقد قام بإحصاء عدد الأطروحات والبراهين المستخدمة واتخذ من أكثرها تكررًا معيارًا لتقدير أهميتها وتأثيرها داخل بنية الخطاب ، وهو إجراء لا يتفق مع المنطلقات والأسس النظرية والمعرفية لتحليل الخطاب ، كما أن خليل مزج وبشكل فيه قدر من الاجتهاد بين التحليل الكمي والكيفي ، حيث أشار في أطروحته للماجستير إلى استخدامه لـ "أسلوبي التحليل الكمي والكيفي وذلك اتساقاً مع طبيعة مشكلة وأهداف الدراسة **"(خليل ،1989،ص35)**، أما في أطروحته للدكتوراه فقد أعلن التزامه بأسلوبي التحليل الكمي وبخاصة فيما يتعلق بالأسلوب الصحفي والتحليل الكيفي وبخاصة فيما يتعلق بالدلالة الصحفية **"(خليل, 1993،ص3)**

وبعيدا عن هذا المزج يعرف محمد حسام تحليل الخطاب ويستخدمه بوصفه مدخل تحليل كمي – كيفي (**إسماعيل،2001**)، أما قنديل فقد حاول استخدام تحليل المضمون بطريقة كيفية مبتكرة تهدف إلى" تنظيم المادة الأولية للكتلة التحريرية ، وقولبتها ضمن فئات مضمونية يمكن الإفادة من دلالاتها ومؤشراتها" (**قنديل ، 2002 ،ص33**)

- ارتباطًا بالملاحظة السابقة يمكن القول بأن الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب قد شغلت نفسها بقضية التحليل الكمي أم الكيفي التي تجاوزتها أغلب مدارس تحليل الخطاب الأوربية ، ثم حاولت أن تأخذ موقفًا وسطيًا يمزج بين الأساليب الكمية والكيفية في التحليل ، تحت دعوي أن طبيعة البحث وأهدافه يفرض نوعية التحليل والأساليب المستخدمة ، وهذه الدعوة ظهرت بوضوح في دراسات خليل وشومان وهشام وآخرين ، لكن هذه الدعوى لم تؤصل نظريًا وظلت قاصرة ومحصورة في استخدام التحليل الأسلوبي والدلالي ، و مسار البرهنة ، وتحليل القوي الفاعلة ، وتحليل الأطر المرجعية ، ولم تتعرف علي مناهج وأدوات أخرى في التحليل ، من هنا لم تطور بشكل حقيقي وجاد من أدواتها للدمج أو التكامل بين التحليل الكمي والكيفي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة :-

يستخدم مفهوم الخطاب في مجالات بحثية متنوعة وتخصصات متعددة في إطار الآداب والعلوم الاجتماعية ، وقد ارتبطت نشأته بحقل اللغويات ثم تطور مع ظهور عدة نظريات ومناهج في تحليل الخطاب ، ورغم هذا التوسع والانتشار في استخدام الخطاب وتحليل الخطاب فإنه لا يوجد اتفاق حول المفهوم والإطار النظري والمنهجي لتحليل الخطاب ، بل ظهرت عدة مدارس يوجد بينها نقاط اتفاق واختلاف عديدة ، ولعل أهم نقاط الاتفاق هي التوجه النقدي في تحليل الخطاب ، والاتجاه للتقريب بين مدارس تحليل الخطاب ، حيث سقطت أو تكاد الحدود التقليدية بينها ، خاصة بعد أن سعي الكثير من الباحثين للدمج والتأليف بين مفاهيم وطرق لتحليل الخطاب تنتمي لمدارس متعددة من جهة ، وبعد أن ظهر اتفاق واسع علي أنه لا توجد طريقة واحدة أو إجراءات منهجية متفق عليها لتحليل الخطاب من جهة ثانية .

واهتمت مدارس تحليل الخطاب بتحليل الخطاب الإعلامي وفي مقدمتها اللغويات واللغويات النقدية ،والسميولوجيا ، ومدرسة التحليل الثقافي ، ومدرسة التحليل النقدي للخطاب ، لكن الأعمال التحليلية للخطاب الإعلامي التي قدمتها هذه المدارس ما تزال قليلة نسبيا من حيث الكم والنوع ،ومع ذلك أصبحت منهجية تحليل الخطاب الإعلامي تقليدًا علميًا معترفا به ، ويكتسب كل يوم أرضاً جديدة حيث يتيح إمكانية التحليل النقدي العميق والمتعدد المستويات (الكلي والجزئي-العام والخاص- الدولي والمحلي-المجتمعي والإعلامي - ظروف إنتاج الخطاب الإعلامي وآليات استقباله واستهلاكه) .

ولاشك أن اهتمامات التحليل النقدي للخطاب الإعلامي ومجالات عمله تمكنه من تجاوز جوانب القصور في التحليل الكمي التقليدي لمضمون النصوص الإعلامية الذي نشأ في إطار التقاليد البحثية الوضعية والسلوكية - تبنته وروجت له لسنوات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طويلة المدرسة الأمريكية الإعلامية - وأدى إلى تفتيت النص وعزله عن سياقه التاريخي والمجتمعي وإهمال المعاني غير المباشرة أو الضمنية التي يحملها النص .

وبالنسبة للدراسات الإعلامية العربية كما تعكسها حالة مصر - التي تعتبر من أوائل الدول العربية التي أنشأت معهدًا للصحافة ثم كلية مستقلة للإعلام عام 1974 - فإنها لم تعرف أو تمارس منهجية تحليل الخطاب إلا في نهاية الثمانينات ومطلع التسعينات ، حيث سادت منهجية تحليل المضمون الكمي التقليدي وأصبح جزءًا من تقاليد المؤسسة العلمية في مصر ، مما أخر ظهور واستخدام منهجية تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية ، وخاصة أنها اعتبرت خروجاً عن التقاليد العلمية السائدة ومحاولة لتجريب منهجية غامضة غير محددة نظريًا ومنهجيًا ولا يوجد حولها اتفاق ، لكن بفضل تشجيع عدد من أساتذة الإعلام وجهود عدد محدود من الباحثين الشبان ظهر عدد من أطروحات الماجستير والدكتوراه تبنت منهجية تحليل الخطاب ، ورغم قلة عدد دراسات تحليل الخطاب الإعلامي في مصر إلا أنها نجحت في كسب مشروعية الوجود ، وباتت تقليدًا معترفاً به حيث أصبح من المقبول في ضوء التقاليد العلمية المعمول بها في الجامعات المصرية والمجلات العلمية الدورية إجراء ونشر دراسات تحليل الخطاب الإعلامي ، كما أن هناك أعدادا متزايدة من أطروحات الماجستير والدكتوراه قيد الإعداد تتبني منهجية تحليل الخطاب الإعلامي المطبوع والمسموع والمرئي .

وتعتمد الدراسة الحالية علي عينة من هذه الأطروحات التي نوقشت في كلية الإعلام لإلقاء الضوء علي وضعية الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي ، حيث خلصت الدراسة إلى اقتصار تلك الأطروحات علي تحليل الخطاب الصحفي فقط ،حيث لم تظهر دراسات في تحليل الخطاب المسموع والمرئي فضلا عن خطاب الإعلان (الإشهار)، علي أن دراسات تحليل الخطاب الصحفي اختارت موضوعات مهمة ، اتسمت بالتعدد والتنوع والانشغال بقضايا معاصرة ومطروحة علي جدول أعمال المدارس الأوربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي.

لكن يمكن القول بأن دراسات تحليل الخطاب الصحفي التي ظهرت في مصر قد نقلت بعض المفاهيم والأطر النظرية عن بعض مدارس تحليل الخطاب الأوربية ، بينما لم تتعرف علي مدارس أخرى مهمة مثل المدرسة الألمانية ومساهمات باحثي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدول الاسكندنافية ، كما لم تستفد من الأعمال التأسيسية لميشيل فوكو ربما لأنه لم يكتب بشكل مباشر عن مجال الإعلام والخطاب الإعلامي ،الأمر الذي أدى إلى ضعف ومحدودية الأطر النظرية والمنهجية التي اعتمدت عليها الدراسات العربية في مجال تحليل الخطاب الإعلامي ،وافتقارها إلى العمق النظري والمعرفي ، وقد أدى هذا الضعف إلى الوقوع في مشكلات مفاهيمية و منهجية وإجرائية مثل غموض مفهوم الخطاب، واعتماد بعض الدراسات علي منهجية الدراسات اللغوية فقط ،ووقوع دراسات أخرى في نوع من الخلط الغريب بين تحليل الخطاب وتحليل المضمون الكمي التقليدي ، واستخدام النوعين معًا وبطريقة تعسفية وغير مبررة في بعض الدراسات ، بالإضافة إلى استخدام عينات كبيرة من النصوص الصحفية تغطي سنوات طويلة ، مما أثقل كاهل تلك الدراسات وأسفر أحيانا عن أنماط من التحليل السطحي .

وربما تكمن مشكلة اختيار الدراسات العربية لعينات كبيرة من النصوص إلى التأثر بالمنهجية الوضعية السلوكية التي تفترض المساواة بين أهمية النصوص وإمكانية اختيار عينات ممثلة ،وهو ما ترفضه أغلب مدارس تحليل الخطاب حيث أن النصوص لا تتساوي في الأهمية ، كما أن هناك نصوص مركزية أو حاكمة يطلق عليها بيجر العقد الخطابية ، فضلا عن ضرورة فهم واستيعاب التناص والتشابك والتكرار بين النصوص والذي قد لا يضيف جديدًا لتحليل الخطاب ، لذلك فمن المهم تحديد العقد والتشكيلات الخطابية والممارسات غير الخطابية والتركيز عليها في التحليل بغض النظر عن كم النصوص التي ستخضع للتحليل ، ولاشك أن اختيار النصوص المركزية التي تسجل الخطاب وتحولاته هي إشكالية نظرية وإجرائية يدور حولها نقاش واسع ، من الضروري أن يتابعه الباحثون العرب في مجال تحليل الخطاب ، ويشاركون فيه نظريًا وعمليًا .

أيضا ربما يكون من المهم ليس فقط الانفتاح والتواصل مع مدارس تحليل الخطاب الأوربية ، بل الانفتاح والتواصل مع الدراسات العربية التي أجريت في المغرب العربي في مجال تحليل الخطاب عامة والخطاب الإعلامي خاصة ، والتي يبدو أنها تناولت موضوعات بالغة الأهمية ، كما تابعت بوعي وعن قرب مدارس تحليل الخطاب خاصة المدرسة الفرنسية، لكن العقبة التي تحول دون تعميم الاستفادة من هذه الدراسات علي النطاق العربي تكمن في أن معظمها كتب باللغة الفرنسية ، من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هنا يقترح الباحث ترجمة ونشر بعض من هذه الدراسات تدعيمًا للتواصل والحوار العربي – العربي في مجال تحليل الخطاب الإعلامي .

المراجـع :-

1- Tompkins,Phillip,k..principles of rigor for assessing evidence in qualitative , communication research, western journal of communication,1994.

2- Roy Langer, the concept of discourse analysis of complex communication events,http://ep.lib.cbs.dk.1998, (Accessed 12-9-2004).

3- عواطف عبد الرحمن ،نادية سالم ، ليلي عبد المجيد ،تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية ، القاهرة ، العربي للنشر والتوزيع ،1983 .

4- PartriciaA.Curtin,Textual analysis in mass communition studies:Theory and Methodology,1996,http:// list.msu.edu (Accessed 19-7-2004).

5- Kevin Howley, Textually mapping newpaper discourse,http://list.msu.edu.1999 (Accessed 2-10-2004).

6- ndrew Tolson ,mediations , text and discourse in media studies, Arnold,London ,1996.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

James W.Tankard,reappraising discourse analysis and -7
iplications for news studies,1994,http://list.msu.edu. (Accessed 1-10-2004).

Norman fairclough,Media Discourse,London, Edward -8
Arnold ,1995.

Ellen Barton,Resources for discourse analysis in -9
compesition studies, V36,i4,2002 .

10- صلاح فضل ، علم الأسلوب ،مبادئه وإجراءاته ،القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1985.

Kress,Gunter and Hodge, Roert,Language as . -11
ideology,London, Routledge and Kegan Paul,1979.

Coates Jennifer ,ed,Language and Gender, A - 12
reader , Maiden,MA,Blackwell.1988.

Alastair Pennycook , critical applied linguistics in A -13
Davies and C.Elder,eds,Handbook of applied linguistics Oxford:Blackwell,2002.

Brett Delinger,Critical Discourse Analysis, - 14
www.cnncritial.tripod.com, 1995 .

15- الزواوي بغورة،مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ،2000 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

16 - السيد النفادي ،السيميوطيقا علاقتها بالفلسفة والعلم عند كارناب ،الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، عالم الفكر ، يوليو – سبتمبر 2002 .

17 - محمد غرافي ، قراءة في السميولوجيا البصرية ، المرجع السابق ، ص ص 221-250.

18- علي بن شويل القرني ، الخطاب الإعلامي العربي ،المجلة المصرية لبحوث الإعلام ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، 1997.

19- جوردن مارشال, موسوعة علم الاجتماع ،المجلد الأول ، ترجمة محمد محمود الجوهري وآخرين ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ،2000 .

20- Roger Bromley ,Cultural Studies in Britain". In A Cultural Studies Reader. History, Theory, Practice. ed. Jessica Munns and Gita Rajan. London and New York: Longman, 1995.

21 - Hall, Stuart: Culture, the Media and the "Ideological Effect'. In James Curran, Michael Gurevitch & Janet Woollacott (Eds.): Mass Communication and Society. London: Edward Arnold.1997.

22- TeunA.van Dijk,Critical Discourse A nalysis ,1998, www, hum.uva.nl/teun/cda.htm, (Accessed 12-1-2005).

23- - Fairclough, Discoure,social theory and social research:the discourse of welfare, journal of sociolingustics,4,2000.

24- Roy langor, the concept of discourse analysis of complex communication events, 1998 , http://ep.lib.cbs.dk.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

25- Ruth Wodak,critical discourse analysis at the end of the 20th century.in:Research on Language and Social interaction,32,1999.

26- بيتر بروكر ، الحداثة وما بعد الحداثة ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، أبو ظبي ، منشورات المجمع الثقافي ، 1995 .

27- مارلين نصر ، التصور القومي في فكر جمال عبد الناصر 1952-1970: دراسة في عم المفردات والدلالة ، القاهرة ، دار المستقبل العربي ،1983 .

28 - محمود إبراهيم خليل ، إنقرائية الخبر الصحفي اللغوية : بالتطبيق علي الخبر الصحفي في جرائد الأهرام والجمهورية خلال عام 1978،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، 1989.

29- محمد علي شومان ، تطور فكرة القومية العربية في الصحافة المصرية (1924- 1952)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ،1990.

30- محمود إبراهيم خليل ، التطور الأسلوبي والدلالي للغة الصحافة اليومية في الفترة من 1960-1980، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ،1993.

31- هشام عطية عبد المقصود محمد ، تأثير السياسة الخارجية للدولة في المعالجة الصحفية للشئون الدولية ، دراسة مقارنة للصحافة المصرية خلال الفترة من 1990-1992، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ،1995.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

32 - هشام عطية عبد المقصود محمد ، علاقة النخب السياسية المصرية بالصحافة وتأثيرها في أنماط الأداء الصحفي في التسعينات ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، 1998.

33- محمد احمد يونس ، الخطاب الديني في الصحف المصرية خلال الفترة ما بين عامي 1882-1914 ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ،2000.

34- محمد حسام الدين إسماعيل ، التغطية الصحفية الغربية لشئون العالم الإسلامي خلال عقد التسعينات ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ،2001.

35- وائل محمد عارف قنديل ، صورة مصر في الخطاب الصحفي لمراسلي الصحف ووكالات الأنباء العربية العاملة في مصر خلال الفترة من 1990-1996، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الإعلام جامعة القاهرة ،2002 .

36- محمد عبد الحفيظ الباز ، موقف الصحافة المصرية من الثورة العرابية في الفترة من 1877-1882، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، 2003.

37 - احمد يوسف ، السيموزيس وتخوم النقد ، ورقة غير منشورة ، 2004.

38- الزواوي بغورة ، تحليل الخطاب من الوجهتين الوصفية والتاريخية ، ورقة غير منشوره ، 2004.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com